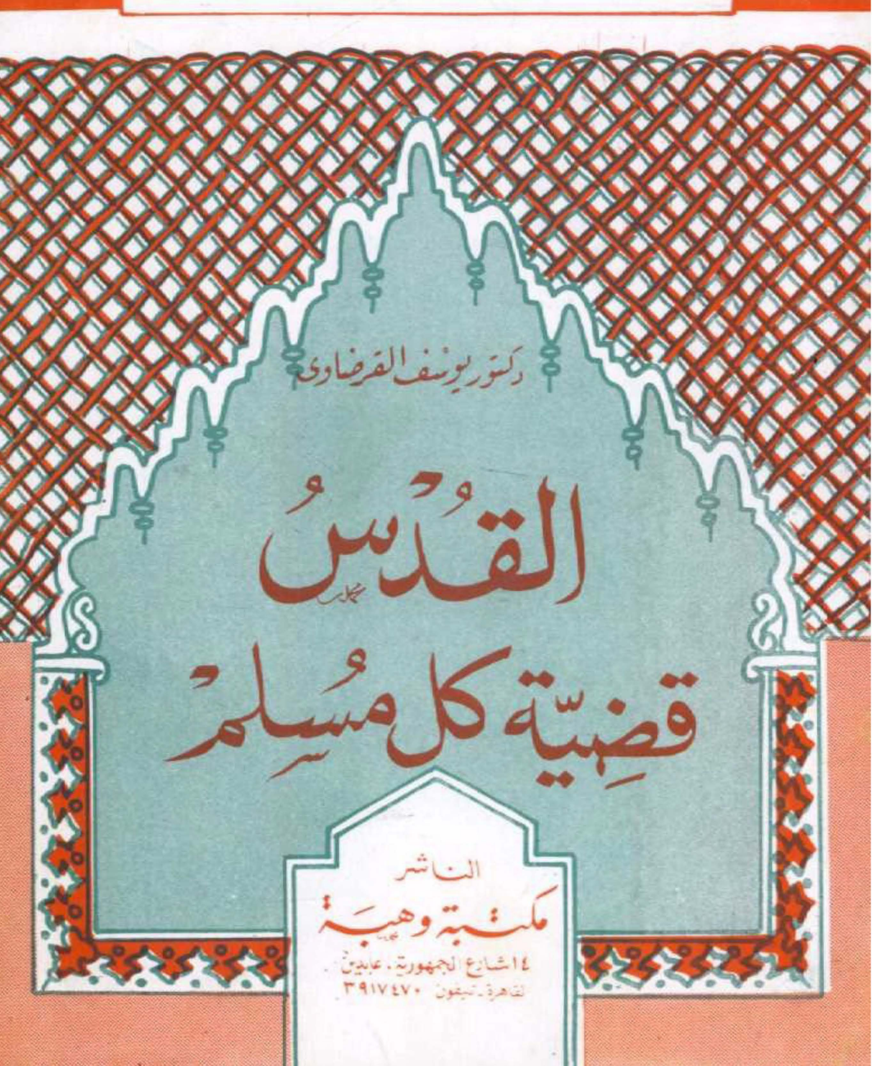
سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (١٠)



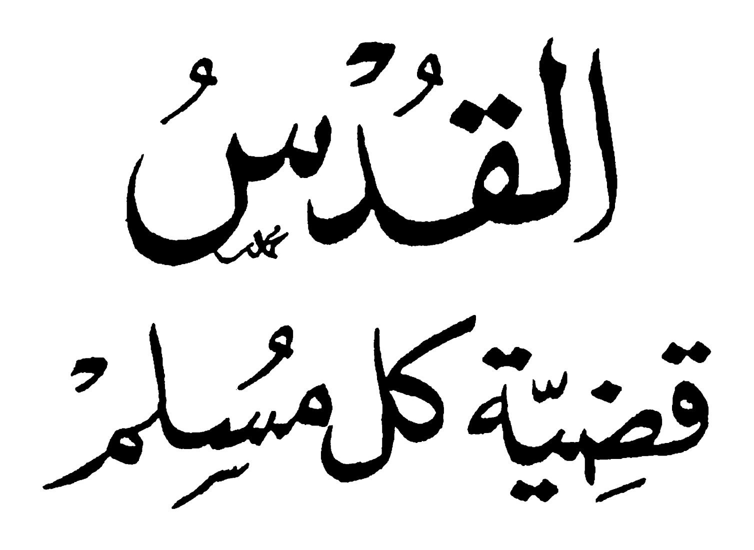
دكتور يوسف القرضاوي

القدس قضية كل مسلم

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة . تليفون ٣٩١٧٤٧٠

سلسلة رسائل ترشيد الصحوة

(١٠)



الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت : ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م



مقدمـــــة

الحـمـد لله وكـفـى ، وسـلام على رسله الذين اصطفى ، وعلى خاتمهم المجتبى ، محـمـد وآله وصـحبه أئمة الهـدى ، ومصابيح الدجى ، ومن بهم اقتدى فاهتدى ...

أما بعـــــد ...

فهذه هى الرسالة العاشرة من (رسائل ترشيد الصحوة) وهى تتحدث عن قضية فى غاية الأهمية والخطورة علينا نحن العرب والمسلمين ، حيثما كنا فى أرض الله ، هى قضية القدس الشريف .

فالقدس فى مهب الريح ، فى مواجهة الخطر الداهم ، الخطر الصهيونى الذى بيَّت أمره ، وحدد هدفه ، وأحكم خطته ، لابتلاع القدس ، وتهويدها ، وسلخها من جلدها العربى والإسلامى ، وقد أعلن قراره ولم يُخفه ، وتحدى وتصدى وتعدى ، ولم يجد من أمة الإسلام -- على امتدادها واتساعها -- من يصده ويرده ، وقديما قالوا فى الأمثال : قيل لفرعون : ما فرعنك ؟ قال : لم أجد من يردنى !

إننا فى هذه الصحائف نريد أن ننبه الغافلين، أن نوقظ

النائمين، أن نذكر الناسين، أن نشجع الخائفين، أن نثبت المترددين، أن نكشف الخائنين، أن نشد على أيدى المجاهدين، الذين رفضوا الاستسلام، وتحرروا من الوهن، وصمموا على أن يعيشوا أعزاء، أو يموتوا شهداء .

إن القدس ليست للفلسطينيين وحدهم ، وإن كانوا أولى الناس بها، وليست للعرب وحدهم، وإن كانوا أحق الأمة بالدفاع عنها، وإنما هى لكل مسلم أيا كان موقعه فى مشرق الأرض أو مغربها، فى شمالها أو جنوبها، حاكما كان أو محكومًا، متعلمًا أو أميًّا ، غنيًّا، أو فقيرًا، رجلا أو امرأة، كل على قدر مكنته واستطاعته .

فيا أمة الإسلام، هبوا، فقد جد الجد ، ودقت ساعة الخطر، القدس، القدس، الأقصى، الأقصى .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

يوسف القرضاوى

الدوحة فى : ذى الحجة ١٤١٨ هـ

إبريـــل ١٩٩٨ م

القدس فى اعتقاد المسلمين

القدس فى الاعتقاد الإسلامى، لها مكانة دينية مرموقة، اتفق على ذلك المسلمون بجميع طوائفهم ومذاهبهم وتوجهاتهم، فهو إجماع الأمة كلها من أقصاها إلى أقصاها. ولا غرو أن يلتزم جميع المسلمين بوجوب الدفاع عن القدس، والغيرة عليها، والذود عن حماها، وحرماتها ومقدساتها، وبذل النفس والنفيس فى سبيل حمايتها، ورد المعتدين عليها. وقد اختلف المسلمون، والعرب، والفلسطينيون فى الموقف من قضية السلام مع إسرائيل: هل يجوز أو لا يجوز؟ وإن جاز: هل ينجح أو لا ينجح؟ ولكنهم جميعا - مسلمين وعربًا وفلسطينيين - لم يختلفوا حول عروبة القدس، وإسلاميتها، وضرورة بقائها عربية إسلامية، وفرضية مقاومة المحاولات الإسرائيلية المستميتة لتهويدها، وتغيير معالمها، ومسخ شخصيتها التاريخية، ومحو مظاهر العروبة والإسلام والمسيحية منها. فللقدس قدسية إسلامية مقدورة، وهى تمثل فى حس المسلمين ووعيهم الإسلامى: القبلة الأولى، وأرض الإسراء والمعراج، وثالث المدن المعظمة، وأرض النبوات والبركات، وأرض الرباط والجهاد كما سنبين ذلك فيما يلى.

القدس : القبلة الأولى :

أول ما تمثله القدس فى حس المسلمين وفى وعيهم وفكرهم الدينى : أنها (القبلة الأولى) التى ظل رسول الله ﷺ وأصحابه يتوجهون إليها فى صلاتهم منذ فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج فى السنة العاشرة للبعثة المحمدية، أى قبل الهجرة بثلاث سنوات، وظلوا يصلون إليها فى مكة، وبعد هجرتهم إلى المدينة، ستة عشر شهرًا، حتى نزل القرآن يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، أو المسجد الحرام ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ [البقرة: ١٥٠]. وفى المدينة المنورة معلم أثرى بارز يؤكد هذه القضية، وهو مسجد القبلتين، الذى صلى فيه المسلمون صلاة واحدة بعضها إلى القدس، وبعضها إلى مكة. وهو لا يزال قائمًا، وقد جدد وتعهد، وهو يزار إلى اليوم ويصلى فيه .

وقد أثار اليهود فى المدينة ضجة كبرى حول هذا التحول، ورد عليهم القرآن بأن الجهات كلها لله، وهو الذى يحدد أيها يكون القبلة لمن يصلى له : ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ إلى أن يقول : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى**

اللَّهُ وما كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة : ١٤٢ ، ١٤٣]. فقد قالوا : إن صلاة المسلمين تلك السنوات قد ضاعت وأهدرت، لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة، فقال الله : ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ أى صلاتكم، لأنها كانت صلاة إلى قبلة صحيحة مرضية عنده عز وجل.

القدس أرض الإسراء والمعراج :

وثانى ما تمثله القدس فى الوعى الإسلامى : أن الله تعالى جعلها منتهى رحلة الإسراء الأرضية، ومبتدأ رحلة المعراج السماوية، فقد شاءت إرادة الله أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية الليلية المباركة من مكة ومن المسجد الحرام، حيث يقيم الرسول ﷺ، وأن تنتهى عند المسجد الأقصى، ولم يكن هذا اعتباطا ولا جزافًا، بل كان ذلك بتدبير إلهى ولحكمة ربانية، وهى أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين هناك بالرسل الكرام، ويصلى بهم إماما، وفى هذا إعلان عن انتقال القيادة الدينية للعالم من بنى إسرائيل إلى أمة جديدة ، ورسول جديد، وكتاب جديد : أمة عالمية، ورســول عالمي، وكتاب عالمى، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان : ١] .

لقد نص القرآن على مبتدأ هذه الرحلة ومنتهاها بجلاء

فى أول آية فى السورة التى حملت اسم هذه الرحلة (سورة الإسراء) فقال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾ [الإسراء : ١]. والآية لم تصف المسجد الحرام بأى صفة مع ماله من بركات وأمجاد، ولكنها وصفت المسجد الأقصى بهذا الوصف ﴿ **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ ، وإذا كان ما حوله مباركًا ، فمن باب أولى أن يكون هو مباركًا .

وقصة الإسراء والمعراج حافلة بالرموز والدلالات التى توحى بأهمية هذا المكان المبارك ، الذى ربط فيه جبريل البراق ، الدابة العجيبة التى كانت وسيلة الانتقال من مكة إلى القدس ، وقد ربطها بالصخرة حتى يعود من الرحلة الأخرى ، التى بدأت من القدس أو المسجد الأقصى إلى السموات العلا ، إلى « سدرة المنتهى » ، وقد أورث ذلك المسلمين من ذكريات الرحلة : الصخرة ، وحائط البراق .

لو لم تكن القدس مقصودة فى هذه الرحلة ، لأمكن العروج من مكة إلى السماء مباشرة ، ولكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود، كما دل على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ومن ثمرات رحلة الإسراء : الربط بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه، وبعبارة أخرى بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى،

وهذا الربط له إيحاؤه وتأثيره فى وعى الإنسان المسلم وضميره ووجدانه، بحيث لا تنفصل قدسية أحد المسجدين عن قدسية الآخر، ومن فرط فى أحدهما أوشك أن يفرط فى الآخر.

القدس ثالث المدن المعظمة :

والقدس ثالث المدن المعظمة فى الإسلام؛ فالمدينة الأولى فى الإسلام هى مكة المكرمة، التى شرفها الله بالمسجد الحرام. والمدينة الثانية فى الإسلام هى طيبة، أو المدينة المنورة، التى شرفها الله بالمسجد النبوى، والتى ضمت قبر الرسول ﷺ. والمدينة الثالثة فى الإسلام هى القدس أو بيت المقدس، والتى شرفها الله بالمسجد الأقصى، الذى بارك الله حوله، وفى هذا صح الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا».

فالمساجد كلها متساوية فى مثوبة من صلى فيها، ولا يجوز للمسلم أن يشد رحاله، بمعنى أن يعزم على السفر والارتحال للصلاة فى أى مسجد كان، إلا للصلاة فى هذه الثلاثة المتميزة. وقد جاء الحديث بصيغة الحصر، فلا يقاس عليها غيرها.

وقد أعلن القرآن عن أهمية المسجد الأقصى وبركته، قبل بناء المسجد النبوى، وقبل الهجرة بسنوات، وقد جاءت

الأحاديث النبوية تؤكد ما قرره القرآن، منها الحديث المذكور، والحديث الآخر: «الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد، ما عدا المسجد الحرام، والمسجد النبوى» [متفق عليه] ومنها، ما رواه أبو ذر، أن النبى ﷺ سئل: أى المساجد بنى فى الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قيل ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى» (١).

والإسلام حين جعل المسجد الأقصى ثالث المسجدين العظيمين فى الإسلام، وبالتالى أضاف القدس إلى المدينتين الإسلاميتين المعظمتين: مكة والمدينة، إنما أراد بذلك أن يقرر مبدأ هاما من مبادئه، وهو أنه جاء ليبنى لا ليهدم، وليتمم لا ليحطم، فالقدس كانت أرض النبوات، والمسلمون أولى الناس بأنبياء الله ورسله كما قال الرسول ﷺ ليهود المدينة: «نحن أولى بموسى منكم».

القدس أرض النبوات والبركات:

والقدس جزء من أرض فلسطين، بل هى غرة جبينها، وواسطة عقدها، ولقد وصف الله هذه الأرض بالبركة فى خمسة مواضع فى كتابه:

أولها: فى آية الإسراء حين وصف المسجد الأقصى بأنه: ﴿**الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾.

---

(١) حديث متفق عليه.

وثانيها : حين تحدث فى قصة خليله إبراهيم ، فقال : **﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾**

[الأنبياء : ٧١]

وثالثها : فى قصة موسى ، حيث قال عن بنى إسرائيل بعد إغراق فرعون وجنوده : **﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾**

[الأعراف : ١٣٧]

ورابعها : فى قصة سليمان وما سخر الله له من ملك لا ينبغى لأحد من بعده ، ومنه تسخير الريح ، وذلك فى قوله تعالى : **﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾** [الأنبياء : ٨١] .

وخامسها : فى قصة سبأ، وكيف منَّ الله عليهم بالأمن والرغد، قال تعالى : **﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾** [سبأ : ١٨] . فهذه القرى التى بارك الله فيها هى قرى الشام وفلسطين .

قال المفسر الآلوسى : المراد بالقرى التى بورك فيها : قرى الشام ، لكثرة أشجارها وثمارها ، والتوسعة على أهلها .

وعن ابن عباس : هى قرى بيت المقدس ، وقال ابن عطية : إن إجماع المفسرين عليه [1] .

وقد ذهب عدد من مفسرى القرآن من علماء السلف والخلف فى قوله تعالى : ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ [التين : ١ - ٣] إلى أن التين والزيتون يقصد بهما الأرض أو البلدة التى تنبت التين والزيتون، وهى بيت المقدس.

قال ابن كثير : قال بعض الأئمة : هذه محالّ ثلاثة بعث الله من كل واحد منها نبيًّا مرسلاً من أولى العزم ، أصحاب الشرائع الكبار . فالأول : محل التين والزيتون ، وهو بيت المقدس، الذى بعث الله فيه عيسى ابن مريم عليهما السلام، والثانى : طور سيناء ، الذى كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنًا . وبهذا التفسير أو التأويل، تتناغم وتنسجم هذه الأقسام، فإذا كان البلد الأمين يشير إلى منبت الإسلام رسالة محمد ، وطور سينين يشير إلى منبت اليهودية رسالة موسى، فإن التين والزيتون يشيران إلى رسالة عيسى، الذى نشأ فى جوار بيت المقدس ، وقدم موعظته الشهيرة فى جبل الزيتون [2] .

---

(١) روح المعانى للآلوسى : ٢٢ / ١٢٩ .

(٢) تفسير القاسمى : ١٧ / ٩١٩٦ وقد ذكر أن الكلام الذى نقله ابن كثير هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

أرض الرباط والجهاد :

والقدس عند المسلمين هى أرض الرباط والجهاد . فقد كان حديث القرآن عن المسجد الأقصى، وحديث الرسول عن فضل الصلاة فيه، من المبشرات بأن القدس سيفتحها الإسلام، وستكون للمسلمين، وسيشدون الرحال إلى مسجدها، مصلين لله متعبدين ، وقد فتحت القدس - التى كانت تسمى إيلياء - فى عهد الخليفة الثانى فى الإسلام عمر بن الخطاب، واشترط بطريركها الأكبر صفرونيوس ألا يسلم مفاتيح المدينة إلا للخليفة نفسه، لا لأحد من قواده، وقد جاء عمر من المدينة إلى القدس فى رحلة تاريخية مثيرة ، وتسلم مفاتيح المدينة، وعقد مع أهلها من النصارى معاهدة أو اتفاقية معروفة فى التاريخ باسم « العهد العمرى » أو « العهدة العمرية » أمنهم فيها على معابدهم وعقائدهم وشعائرهم وأنفسهم وأموالهم ، وشهد على هذه الوثيقة عدد من قادة المسلمين ، أمثال : خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان (١) .

وقد أعلم الله نبيه محمداً ﷺ بأن هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء ، أو يهددونها بالغزو والاحتلال ، ولهذا

---

(١) تاريخ الطبرى ، طبعة دار المعارف بمصر ، الجزء الثالث ، ص ٦٠٩ .

حرض أمته على الرباط فيها ، والجهاد للدفاع عنها حتى لا تسقط فى أيدى الأعداء ، ولتحريرها إذا قدر لها أن تسقط فى أيديهم. كما أخبر عليه الصلاة والسلام بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود ، وأن النصر فى النهاية سيكون للمسلمين عليهم ، وأن كل شيء سيكون فى صف المسلمين حتى الحجر والشجر ، وأن كلاً منهما سينطق دالاً على أعدائهم ، سواء كان نطقًا بلسان الحال أم بلسان المقال (١) . وقد روى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابههم ، إلا ما أصابهم من لأواء (أى أذى) حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » ، قالوا : وأين هم يا رسول الله ؟ قال : « ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس (٢) .

* * *

---

(١) يشير إلى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر وأبو هريرة .

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فى المسند (٥ / ٢٦٩) . وقال : وجدت بخط أبى .. وقال الهيثمى : رواه عبد الله بن أحمد (وجادة عن أبيه) والطبرانى ، ورجاله ثقات (٧ : ٢٨٨) .

القدس تهوّد جهاراً

في الثاني من سبتمبر ١٩٩٧ دعيت من قبَل (مجمع البحوث الإسلامية بلندن) للمشاركة في مؤتمره العلمي الأول عن (القدس) وإلقاء كلمة فيه بهذه المناسبة. فحضرت وقلت في بداية كلمتي:

في هذه السنة (١٩٩٧ م) تتزاحم ذكريات مهمة وبارزة تخص قضيتنا الأولى : قضية القدس وفلسطين .

في هذه السنة تمر ذكرى مرور قرن (١٠٠ سنة) على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في (بازل) بسويسرا برياسة (هرتزل) عام ١٨٩٧م، وظهور المؤسسة الصهيونية العالمية .

كما تمر ذكرى (٨٠) ثمانين عاماً على مرور وعد بلفور المشؤوم بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (نوفمبر ١٩١٧م).

وكذلك ذكرى نصف قرن على قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧ م) الذي كان تمهيداً لقيام إسرائيل (١٩٤٨ م).

وأيضاً ذكرى مرور ثلاثين سنة على احتلال القدس والضفة الغربية وغزة سنة (١٩٦٧ م) بعد حرب الأيام الستة المعروفة في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م .

وأخيراً ذكرى مرور عشرين عاماً على زيارة الرئيس

السادات إلى إسرائيل (١٩٧٧ م) ، التى مثلت بداية الخلل فى وحدة الموقف العربى تجاه إسرائيل .

ونحن الآن نجنى ثمار هذه الأحداث المريرة ، وأشد هذه الثمار مرارة : محاولة إسرائيل « تهويد القدس » العربية الإسلامية ، وفق تخطيط معلوم ، ونهج مرسوم ، وعلى مرأى ومسمع من أكثر من مائتين وخمسين مليونا من العرب ، ووراءهم أكثر من مليار من المسلمين . وعلى الرغم من قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى . وبمساندة وتأييد من أمريكا القوة الأولى والوحيدة ، والمتألهة فى العالم اليوم .

ولا تزال إسرائيل تتابع (حفرياتها) تحت المسجد الأقصى ، وتنشىء مدينة سياحية تحته ، فيما زعموا ، وقد سمعت فى مؤتمر القدس المذكور من الأخ الشيخ رائد صلاح ، رئيس بلدية أم الفحم فى فلسطين المحتلة ، ورئيس الحركة الإسلامية هناك ، أنه أتيح له الاطلاع على هذه الحفريات ، ورأى المسجد الأقصى مهددا بالانهيار فى وقت غير بعيد .

وهذا يؤكد ما قلته وأعلنته مرارا من أن إسرائيل تعرف متى ينهار المسجد ، وهى محددة له وقتا معينا ، توقع فيه ذلك وتعلنه ، وهى ستختار الوقت المناسب لهذا الفعل ، بحيث يكون العرب والمسلمون مشغولين فى هموم أخرى تلهيهم عن هذا الخطب الجسيم ، أو تجعل احتجاجهم عليه مجرد صراخ لا يرد حقًا ، ولا يقاوم باطلاً ! ويكون العالم

أيضًا مشغولاً بخطب آخر ، قد تكون إسرائيل أو الصهيونية العالمية هى صانعته ومدبرته .

وهكذا تتعرض القدس العربية الإسلامية : مدينة المقدسات ، وأرض النبوات ، وبلد الإسراء والمعراج ، ودار المسجد الأقصى ، الذى بارك الله حوله والذى هو عند كل مسلم بمنزلة سواد العين ، وسويداء القلب . تتعرض هذه المدينة للتهويد المبيَّت ، والانتهاب المخطط ، والالتهام المدبر ، ويتعرض المسجد الإسلامى المعظم للخطر المؤكد ، بما يقع تحته وحوله من حفريات مستمرة ، تهدف فى النهاية إلى إزالته ، وإقامة هيكل اليهود المزعوم على أنقاضه .

الهدف واضح وصريح ، والخطة معلومة ، والعمل معلن ، اتفق عليه اليهود جميعًا ، أيا كان انتماؤهم واتجاههم : دينيين كانوا أم علمانيين ، من حزب (الليكود) الصريح المتعجرف ، أم من حزب (العمل) المناور المراوغ .

ومع هذا لازلنا نركض ونسابق الريح ، سعيًا إلى سلام بائس ، لا يقيم لفلسطين دولة ،ولا يعيد إليها مشردًا ، ولا يرد إليها قدسها وعاصمتها ، ومع هذا الغبن الفاحش ، والظلم المبين ، تركل إسرائيل ، ويركل بنيامين نتنياهو السلام المزعوم بقدميه ، رضى القتيل ولم يرض القاتل !

وهكذا كلما تنازلنا عن حق مؤكد لنا ، أصرت إسرائيل

على باطل مدّعى لها ، وهى فى كل يوم تأخذ منا ما تريد ، ونحن لا نأخذ نقيراً ولا قطميراً ، إلا وعوداً مزعومة ، أشبه بما قال الشاعر :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا   وما مواعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنْك ما منّت وما وعدت   إن الأمانىّ والأحلام تضليل

بل الواقع أن إسرائيل فى عهد الليكود أمست تضن علينا حتى بالوعود، وإن كانت سراباً. فهى تتبجح بالرفض المطلق، ولا تخاف ولا تستحى. وقد قال رسول الإسلام ﷺ : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت!. متفق عليه .

إن إسرائيل تستكبر وتبغى فى الأرض بغير الحق ، لأنها لم تجد من يردها ويقفها عند حدها .

فهى تريد سلاماً من منظورها هى، ووفق مصلحتها، وتبعاً لاستراتيجيتها التوسعية، وأطماعها الإقليمية، المتمثلة فى إسرائيل الكبرى: من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل ! ولكنها قد تخفى ذلك أو تسكت عنه فى وقت ما، تبعاً لسياسة (المراحل) التى تجيدها إسرائيل من قديم.

ولقد ساعدت الظروف العالمية والإقليمية والمحلية القائمة اليوم ، إسرائيل على هذا التجبر والطغيان الذى نشهده ، وتتمثل تلك الظروف فى الاستسلام الفلسطينى ، والعجز

العربى ، والوهن الإسلامى ، والغياب العالمى ، والتفرد الأمريكى ، والتحيز الأمريكى أيضاً .

ولكن هل تضمن إسرائيل أن تبقى هذه الظروف المساعدة لها باقية إلى الأبد ؟ وهل أخذت صكًّا على القدر الأعلى أن تبقى الرياح فى الاتجاه الذى تهوى ؟ .

نحن بقراءة سنن الله فى الكون، وقراءة التاريخ من قبل، واستقراء الواقع فى عالمنا : نؤمن بأن الدنيا تتطور، وأن العالم من حولنا يتغير، بل يتغير بسرعة غير محسوبة ولا متوقعة ، كما رأينا فى انهيار الاتحاد السوفيتى، وفى ظهور الاتحاد الأوروبى، وفى ظهور قوى اقتصادية جديدة فى العالم. وهو ما عبر عنه الناس عندنا من قديم فقالوا : دوام الحال من المحال. وما عبر عنه القرآن في صورة سنة كونية عامة، فقال : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠]. قال ذلك فى أعقاب غزوة أحد التى انكسر فيها المسلمون في عصر النبوة، وقدموا فيها سبعين من أغلى شهدائهم، بعد انتصار مبين قبلها في غزوة بدر ، التى سمى القرآن يومها : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

الاستسلام الفلسطينى :

إن الاستسلام الفلسطينى الذى دفع إليه تسرب الوهن إلى بعض الأنفس ، واليأس إلى بعض القلوب والشعور بالمرارة

من تخاذل الكثيرين من العرب ، وارتماء بعضهم فى أحضان الأمريكان ، وسقوط السوفيت ، والإحساس بالرعب من الوحش الأمريكى ، وتحيزه الدائم لربيبته إسرائيل ،واستطالة طريق الجهاد ، وكثرة تكاليفه ، وضحاياه ، كل أولئك سارع بدفع عدد من القادة الفلسطينيين إلى قبول (السلام الأعرج) الذى عرضته إسرائيل ، تحت عنوان (الأرض مقابل السلام) . يعنون أن تتخلى إسرائيل عن الأرض الفلسطينية والسورية واللبنانية التى احتلتها عام (١٩٦٧ م) فى مقابل سلامها ، بحيث لا يناوشها أحد ولا ينازعها . باختصار : هذا القول يعنى : أرض العرب فى مقابل سلام إسرائيل .

أى يردون إلينا أرضنا المحتلة لينعموا بالسلام ، معنى هذا : أن الأرض التى أخذوها بقوة السلاح وبالدم والعنف أمست ملكا لهم ، وأمسى لهم الحق عليها ، وهم يتنازلون عنها ليفوزوا بالسلام !

وقبِل العرب المفاوضات على هذا الأساس الأعوج، وأعطوا إسرائيل السلام ، ولكنها لم تعطهم شيئًا ، باعت لهم (الترام)! كما تحكى الحكايات عن القاهرى الماكر والصعيدى الساذج .

ما معنى سلام يترك المشاكل الكبرى الأساسية كلها معلقة :

مشكلة القدس .

مشكلة الاستيطان .

مشكلة اللاجئين .

مشكلة الحدود .

هذه المشكلات الخطيرة معلقة مؤجلة ، لا تبحث إلا فى نهاية المفاوضات ، ولم يسأل أحد : وإذا لم نتفق عليها فى النهاية فماذا يكون الموقف ؟

والحقيقة أن هذه المشاكل كانت معلقة ومؤجلة عند العرب ، ولم تكن مؤجلة ولا معلقة عند إسرائيل ، فقد أعلن إسحاق رابين عشية توقيع الاتفاق فى (أوسلو) قائلا ومصرحًا : جئتكم من أورشليم (القدس) العاصمة التاريخية والأبدية والموحدة لشعب إسرائيل !

وكذلك لم يؤجل موضوع الاستيطان ، بل ظل مستمرًا فى أكثر من مكان فى فلسطين ، إلى أن فجرته المحاولة الصريحة الجريئة بإنشاء مستوطنة (هارحوما) فى جبل أبو غنيم وكذلك فى رأس العامود فى القدس الشرقية ، ولا يزال الاستيطان يتوسع وينمو، فى حين لا يسمح للفلسطينيين أهل البلد وأصحاب الدار، بأى نمو أو توسع .

وكم رأينا بأعيننا البيوت تهدم على مرأى ومسمع ، لأن إسرائيل لم تسمح بها. ولن تسمح يومًا .

إن الفلسطينيين اليوم أدركوا أن إسرائيل تخدعهم وتلعب بهم، وأن انسحابها الجزئى المحدود جداً لم يكن إلا خدعة كبيرة، وأنها تستطيع أن تعود إلى احتلال المواقع التى أخلتها فى ساعات قلائل، وأن زمام الأمور كلها بيديها، وأن لا حول لهم ولا طول، وأن السلطة التى منحتها إسرائيل لهم سلطة وهمية، هدف إسرائيل منها: أن تضرب الفلسطينيين بعضهم بعض، وأن تسلط بعضهم على بعض، وأن يكون بأسهم بينهم شديداً، لتقف هى متفرجة على صراع الأخ مع أخيه، وأن بندقية الفلسطينى لم تعد موجهة إلى صدر غاصب أرضهم بل إلى فلسطينى مثله. وهذا مراد إسرائيل.

ولما لم يتحقق لإسرائيل كل ما تريد ، طلبت بصراحة من السلطة : تدمير حماس ، وتحطيم كل قوة لها ، وإعانة إسرائيل عليها. وهذا شرط أساسى وضرورى اليوم للعودة للجلوس على مائدة السلام المزعوم.

إن إسرائيل ماضية فى خطتها وإصرارها على تهويد القدس، وهى خطة ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس. وقد حددت هدفها، ورسمت سياستها ، ومارست تنفيذها، بمحاصرتها بالمستوطنات، والعمل الدائب على تفريغها من أهلها العرب مسلمين ومسيحيين ووضع العوائق والعقبات فى سبيل نموّهم وامتدادهم عمرانيًّا وبشريًّا ، والوقائع كلها شاهدة قاطعة، والعرب لا يملكون إلا الشجب والاحتجاج

والاستنكار، وهذه كلها لا تجدى فتيلاً ، ولا تحيى قتيلاً ، ولا تشفى عليلاً . لقد احتج العرب على مستوطنة أبو غنيم ، واحتجوا على احتلال بيت رأس العامود ، ولكن احتجاجاتهم ذهبت أدراج الرياح .

لم يبق من شيء تخافه إسرائيل إلا الشباب الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم ، بائعين أرواحهم لله ، لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، من الذين أقلقوا إسرائيل بعملياتهم الاستشهادية ، وقذفوا الرعب في قلوب أبنائها ، وأطاروا النوم من أجفانهم ، ولا يفل الحديد إلا الحديد .

لهذا قامت إسرائيل - على أعلى مستوى فيها - بالانتقام من هؤلاء الأبطال، فقتلت الدكتور الشقاقى، والمهندس يحيى عياش، وشرعت أخيراً فى قتل خالد مشعل، بسلاح كيماوى متطور، وفى بلد معاهد لهم ، هو الأردن، ليعلم الجميع أن هؤلاء قوم لا عهد له ولا ذمة ، كما قال تعالى في أسلافهم : ﴿ **الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنفال : ٥٦] .

وهم من قديم يقتلون كل من يقف فى طريقهم أو ينتقدهم ، أو يكشف أحابيلهم ، من مدنيين وسياسيين ومفكرين ، فقد قتلوا اللورد موين ، وقتلوا الكونت برنادوت، وقتلوا المفكر الإسلامى الدكتور إسماعيل الفاروقى وزوجته أشنع قتلة ، هذا ما تقوله الوقائع ، ولا يزالون يهددون

ويتوعدون كل من يقول كلمة لا تعجبهم ، حتى الرسائل الأكاديمية أو البحوث العلمية ، التى تتحدث عن مذابح النازية معهم ، وتحاول أن تبين حجمها الحقيقى ، لا يسمح لها أن تبرز وترى النور ، حتى إن كاتبيها يتعرضون للمساءلة والمحاكمة بله المضايقة والإيذاء والتهديد ، وآخرهم المفكر الفرنسى المعروف روجيه جارودى.

إن الذين ظلوا يحملون روح الشعب الفلسطينى المجاهد، وعناد مقاومته، واستعداده للتضحية، إنما هم تلك الفئة المؤمنة التى وهبت حياتها وكل ما تملك من نفس ونفيس، لتحرير الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى. إنما هم أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإخوانهم وأعوانهم فى (الجهاد) المقدس ومن يشد أزرهم من أبناء الشعب. إنهم الذين باعوا أرواحهم لله ليشتروا الجنة ، ولقد ابتلوا وأوذوا وسجنوا وعذبوا في سبيل الله ، فصبروا وصابروا ورابطوا ، ﴿ **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦ - ١٤٧] .

وظنى أن الاستسلام الذي جر إليه الفلسطينيون لن يستمر ، فقد طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، وأوشك الصبر أن ينفد ، وحينئذ لا يكون أمام هؤلاء إلا عودة الانتفاضة

الشاملة أشد وأقوى مما كانت ، ويفرض الواقع الجديد نفسه ، وتنضم السلطة إلى الشعب ، ويقف الجميع فى وجه العدو صفًّا واحداً كالبنيان المرصوص . وصدق الشاعر :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها !

العجز العربى :

أما العجز العربى الذى نراه ونلمسه ، فليس هو بالقدر الذى لا مهرب منه . إنما هو أمر طارىء لابد أن يزول .

وأظهر أسباب هذا العجز هو التفرق، الذى أصاب دول العرب، منذ شرخ (كامب ديفيد) واتفاقيته التى أخرجت الشقيقة الكبرى: مصر، من المعركة المصيرية للأمة، وقد استغل فى ذلك : تخلى العرب عن مصر ،وعدم وقوفهم معها ومعاونتهم لها ،وقد خاضت أربع حروب من أجل فلسطين كلفتها الكثير من المال والرجال.

وزاد هذا التفرق بعد (حرب الخليج) الثانية، التى مزقت العرب شر ممزق، وخسروا فيها تضامنهم ووحدة مواقفهم، كما خسروا أموالهم، حتى استدانت البلاد الغنية، بل خسر كثير منهم حرية إرادتهم واستقلال قرارهم، إلى حد احتلال أراضيهم. كان هذا كله بضربة واحدة - ضربة معلم كما يقال - وكان الرابح الواحد فى ذلك هو إسرائيل، وأمريكا وحلفاؤها، الذين تخلصوا من أسلحتهم القديمة فى أرضنا، وجربوا أسلحتهم الجديدة فى شعوبنا ، وهدموا ديارنا

بفلوسنا، وبطلبنا، وخربوا بيوتنا بأيدينا، ليعودوا فيشيدوها من جديد بأموالنا أيضًا .

وقد انقسم العالم العربى فى هذه القضية انقسامًا لم يحدث مثله فى قضية أخرى، لما فيها من تداخل وتعقيد، فإن الذى يرفض التدخل الأجنبى كأنما يؤيد الاحتلال العراقى للكويت ،والذى يقبل التدخل العسكرى الأمريكى والغربى لتحرير الكويت كأنما يؤيد تدمير العراق ، ويساند الاحتلال الأجنبى للمنطقة !.

وضاع الرأى الوسط الذى ينكر الاحتلال ويطالب بالجلاء، كما ينكر التدخل الأجنبى المكثف المسيطر ، سواء بسواء. وهو ما نادت به مجموعات من أهل العلم والفكر من المصريين نشروا بيانهم على صفحات الأهرام وغيره (ضمن المقال الأسبوعى للكاتب الكبير الأستاذ فهمى هويدى).

المهم أن العالم العربى منذ ذلك اليوم المشؤوم قد تصدع بنيانه ، ولم يجد من يرمِّمه إلى اليوم، رغم مناداة كثير من العقلاء بوجوب تخطى هذه الأزمة، التى لا يجوز أن تحكمنا عقدتها أبد الدهر، وهو ما يفرضه الدين والقومية، والأخلاق والمصلحة المشتركة، بل ما يفرضه وجودنا ومصيرنا، إن أردنا أن يكون لنا وجود ومصير فى هذا العالم، الذى لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة، ولا للكيانات المتفرقة والمبعثرة، ولهذا رأينا المتفرقين تاريخيا يتحدون ويتناسون الماضى

ونزاعاته وحروبه وثأراته، استجابة لنداء المصلحة المتبادلة، كما هو شأن الاتحاد الأوروبى.

ولكننا نرى اليوم بشائر لا يمكن تجاهلها، وهى وقوف العالم العربى كله ضد الولايات المتحدة التى تريد توجيه ضربة عسكرية للعراق، إن هذه الوقفة العربية ضد التألّه الأمريكى، يدلنا على أن هذه الأمة لن تموت.

الوهن الإسلامى :

وإذا كان العجز العربى عرضًا لا يدوم ، فكذلك الوهن الإسلامى ، إنه أمر يعرض للأمم كما تعرض الأمراض للجسم الصحيح ، لا يلبث أن يعالج منه ويشفى.

وكم أصابت هذه الأمة من آفات وأمراض، فى أدوار من التاريخ، حسب أعداؤها أنها لن تبرأ منها، وأنها هى القاضية والقاتلة. ولكنها خرجت منها كما يخرج الذهب من النار، أشد صفاء، وأكثر لمعانا.

وحسبنا من ذلك : غزوات الصليبيين من الغرب ، وهجمات التتار من الشرق ، فى فترة ضعف من الأمة ، وتفرق بين أقطارها ، وغفلة من حكامها ، حتى سقطت قلاعها أمامهم أول الأمر ، وتحكموا فى رقاب أهلها ، وأقاموا لهم ممالك وإمارات ، وبقى (المسجد الأقصى) أسيرا فى أيدى الصليبيين (تسعين عاماً) كاملة .

ثم هيأ الله رجالاً لم يكونوا من جنس العرب، ولكن

عرّبهم الإسلام، منهم التركى مثل عماد الدين زنكى، وابنه نور الدين محمود، والكردى مثل صلاح الدين الأيوبى، وغيرهم مثل سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس من قادة المماليك .

فعاد الصليبيون يجرون أذيال الخيبة ،ودخل التتار فى دين الله أفواجا .

وفى العصر الحديث احتل الاستعمار الغربى الزاحف ديار الإسلام، من إندونيسيا إلى المغرب، وحسب جنرالاته العسكريون، وزعماؤه السياسيون - ومن ورائهم المبشرون والمستشرقون - أن هذه الديار قد دانت لهم إلى الأبد، حتى إن بعضها اعتبروها جزءاً من أوطانهم كما فى الجزائر. ثم ما لبث الإسلام الذى يدينون به أن أيقظهم من رقود، وحركهم من جمود، ونفخ فيهم من روحه، فكانت (معارك التحرير) فى كل بلد، وكان للدين القدح المعلى فى الإيقاظ والتحريك والتجنيد والتجميع، وآخر ملحمة مع الاستعمار كانت ملحمة ثورة التحرير الجزائرية من سنة ١٩٥٤ حتى نالت استقلالها سنة ١٩٦١.

لقد نبهنا الرسول المعلم على سبب الوهن الذى يصيب الأمة، وبين أنه سبب نفسى وأخلاقى، وذلك فى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ

كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهْن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

هذا هو سر الوهن وعلّته: حب الدنيا وكراهية الموت. فإذا غيرت الأمة ما بنفسها، ولم تعد الدنيا أكبر همها ومبلغ علمها، ولم تعد تبالى: أوقعت على الموت أم وقع الموت عليها، هنا لك يغير الله ما بها، ويبدل حالها من ضعف إلى قوة، ومن ذلك إلى عزة، ومن هزيمة إلى نصر وتمكين.

وأرى بشائر ذلك قد بدت وتجلت فى هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة التى جددت العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، وأثرت فى شباب الأمة - ذكوراً وإناثًا - تأثيراً يشبه تأثير الغيث فى الأرض الهامدة، حتى إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

وقد بينا فى دراسة سابقة لنا [1]:

أن الأمة المسلمة تملك مقومات القوة والرقى والسيادة من: الثروة البشرية (مليار وثلث من البشر) والثروة المادية (من سهول وجبال ومعادن وبحار وأنهار .. إلخ) والثروة الحضارية من خلال موقعها فى ملتقى القارات، ومنبت الحضارات ومهبط الرسالات. فى أرضها نبتت الحضارات

---

(١) رسالة المبشرات بانتصار الإسلام، وهى الرسالة الثامنة من (رسائل ترشيد الصحوة).

الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والفارسية . . .) بالإضافة إلى الحضارة الإسلامية العربية . وفيها نشأت الرسالات السماوية الكبرى : اليهودية والمسيحية والإسلام .

هذا إلى الثروة الروحية الكبرى، التى تتميز بها دون الأمم، فهى وحدها التى تملك رسالة الشمول والتوازن والعمق، المتمثلة فى رسالة الإسلام .

وقد بدأت بعض شعوب هذه الأمة وأقطارها فى النهوض ومحاولة كسر حاجز التخلف الذى وضعت فيه الأمة زمنا طويلا ، وإن مع اليوم غداً، وإن غداً لناظره قريب .

التفرد الأمريكى :

وأما التفرد الأمريكى بالنفوذ والهيمنة على العالم، حيث غدت هى القطب الأوحد . والعلم المفرد، فى توجيه السياسة الدولية، وفق مصالحها وأهوائها، وتسخير الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤسساتها لخدمة أهدافها ورغباتها . التى لا يجوز لأحد الخروج عنها، أو التمرد عليها، وإلا كان العقاب له بالمرصاد، اقتصاديا وسياسيا، بل وعسكريا عند اللزوم . . . أقول : هذا التفرد ليس قدرًا مفروضًا على البشرية، يجب أن تتقبله طوعًا أو كرهًا، صوابًا أو خطئًا، عدلا كان أو جورا . إنما هو وليد ظروف معينة مرت بالعالم قابلة لأن تتغير .

ومن سنة الله : أن القوى لا يظل قويًّا أبد الدهر ، وأن الضعيف لا يظل ضعيفًا أبد الدهر ، وكم رأينا من قوى

أصابه الضعف ، وضعيف أدركته القوة ، وكم من عزيز ذل ، وذليل عـز ، وفى التـاريخ الحـافل ، وفى الواقع الماثل : نماذج وأمثلة لا تخفى.

كما أن من عدل الله تعالى وحكمته فى خلقه : ألا يدعٍ قوة واحدة تتحكم فى خلقه ، وتفرض عليهم سلطانها رغبا ورهبا. بل من سنته تعالى : التدافع بين الناس، حيث يدفع ظلم بعضهم ببعض، وشر بعضهم ببعض، وإلا لتسلط عليهم الطغاة والجبارون فأهلكوهم ، أو ساموهم سوء العذاب. يقول تعالى : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٥١].

وقال سبحانه : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ [الحج : ٤٠] .

وعلى ضوء هذه السنة قام الاتحاد السوفيتى الشيوعى عدة عقود بمدافعة التجبر الأمريكى - الأوروبى - الرأسمالى، وأدى ذلك إلى قدر من التوازن استفادت منه الشعوب الضعيفة والأوطان المهضومة، وإن كان كل من الطرفين الشيوعى والرأسمالى ظالما فى نفسه، ولكن الله يدفع ظالمًا بظالم. كما قال الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم !

ومن هنا كان المسلمون قديما يدعون الله قائلين: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

ومن الأمثال المأثورة: إذا اصطلحت الهرة والفار خربت دكان البقّال.

فمن مصلحة البشر - وخصوصًا الضعفاء منهم - اختلاف الأقوياء الظالمين وتعارض مصالحهم. وليس من مصلحتهم أن يتفقوا، فإن اتفاقهم نقمة واختلافهم رحمة - كما ليس من مصلحتهم أن ينفرد أحدهم بالقوة، ويزول خصومه من الميدان.

وبمقتضى هذه السنة لابد أن تظهر قوة، أو قوى جديدة أخرى تنازع أمريكا وتغالبها وتدافعها، حتى لا تفسد الأرض، وربما كان من دلائل ذلك: الاتفاق الروسى الصينى، الأخير والشهير، الذى يؤذن ببروز قوة جديدة، ربما لم تتكامل الآن كل أدوات قدرتها التى تنافس بها أمريكا، ولكنها - على الأقل - تملك قوة عسكرية وبشرية هائلة، فى مقابل التفوق التكنولوجى والاقتصادى الفارع الذى تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان من شأن التفرد الأمريكى ألا يستمر، فكذلك شأن التحيز الأمريكى الدائم لإسرائيل، فهو موقف غير أخلاقى، وغير إنسانى، وغير مبرر. وأحسب أن الشعب الأمريكي المضلل عن الحقيقة بصنع الإعلام المكثف الذى

يوجهه ويسيطر عليه اللوبى اليهودى فى أمريكا ، سيأتى يوم تنكشف فيه الغشاوة عن عينيه، ويرى الحقيقة مجردة بلا تمويه ولا تزييف، ويومئذ لن يكون مع الظالم ضد المظلوم، ولا مع الغاصب ضد المغصوب، ولا مع اللص ضد صاحب الدار .

الغياب العالمى :

وكذلك يقال فى الغياب العالمى، فهو – فى الواقع – أثر للتسلط الأمريكى على العالم، بسيف المعز وذهبه . وعدم وجود زعماء أقوياء يقولون كلمة الحق ، ولا يخافون لومة لائم ، ولا ظلم ظالم . فقد بات العالم قرية عمدتها رئيس الولايات المتحدة . ووزير الدفاع الأمريكى هو شيخ خفرائها ، ووزير الخارجية الأمريكى هو شيخ البلد فيها .

حتى أوروبا لم يعد لها تأثير يذكر فى سياسة العالم وقضاياه الكبرى، وإن حاولت بعض دولها أن يكون لها موقف تميز عن أمريكا، كما نرى فرنسا أحيانا .

أما كتلة (عدم الانحياز) فلم يعد لها علم مرفوع ،ولا صوت مسموع .

إن العالم الذى ربا عدد سكانه على ستة مليارات أصبح (أحجاراً على رقعة الشطرنج) تحركها أصابع أمريكا حيث تشاء ، لا تبالى بفيل ولا حصان ولا (طابيه) بل لا تعبأ بوزير ولا ملك . فهى تحيى منهم من تشاء وتميت من تشاء ، وقتما تشاء .

هل سيبقى العالم لعبة في يد أمريكا إلى الأبد ؟ مستحيل، وهل يستمر هذا الغياب العالمي طويلا ؟ ما أظن ذلك.

إن الظروف المساعدة لإسرائيل - عالميًّا وإسلاميًّا وعربيًّا وفلسطينيًّا - لن تبقى إلى الأبد ، فالدهر قلب ، والدنيا دول ، ودوام الحال من المحال ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

ومن المبشرات العاجلة: ما قضت به محكمة العدل الدولية في قضية (لو كربى) التي اتخذت ذريعة ضد ليبيا، وقد كان حكم المحكمة صفعة للولايات المتحدة وبريطانيا، وانتصارًا للجمهورية الليبية، مما يوحي بأن في الزوايا خبايا، وأن في العالم رجالاً أحرارًا، لا يُشترون، ولا يخافون.

ربما انتقدَنا بعض رجال السياسة ، واتهمونا - نحن علماء الدين ورجال الفكر الإسلامي - بأننا (رومانسيون) نعيش في مثاليات ونسبح في بحار الأماني والأحلام ولا نرضى بالواقع . وقد قال علي بن أبي طالب لابنه : إياك والاتكال على المنى ، فإنها بضائع النوكى (الحمقى) .

وقال الشاعر :

ولا تكن عبد المنى ، فالمنى   رؤوس أموال المفاليس !

وأود أن أقول لهؤلاء : إن من شأن الإنسان الحي أن

يتخيل وأن يحلم ، وعلي قدر همة المرء وطموحه تكون أحلامه صغراً وكبراً .

وما لنا لا نحلم، وقد حلم اليهود قبلنا بإقامة دولتهم، وقد أقاموها فى ديارنا، ولم يكن هناك أى شيء على الأرض يدل على ذلك، وقد عاشوا حتى غدت أحلام الأمس حقائق اليوم.

فما علينا إذا حلمنا بالانتصار على عدونا ، واستعادة أرضنا وحقنا ، حتى تكون أحلام اليوم حقائق الغد ، ولا سيما وحقائق الوجود ، ووقائع التاريخ ، وسنن الله فى الكون كلها تؤيدنا .

كل ما ينقصنا هو (إرادة الصمود والتحدى) والتحرر من اليأس والضعف، والثورة على الرضا بالهون، والعيش الدون، والقدرة على أن نقول بملء فينا، وبأعلى صوتنا : لا ثم لا .

إننا إذا قلناها - مجتمعين - صارخة مدوية ، عالية متحدية ، ستزلزل قلوب أعدائنا ويكون لها ما بعدها . إن كل ما نريده اليوم : أن ننتصر على ضعف أنفسنا ، وأن نستعيد ثقتنا بالله تعالى ، ونستجيب لقول الله تعالي : ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٥] .

* * *

حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل

أود أن أبين هنا بوضوح : نقطة مهمة ، كثيراً ما يشوبها الغموض أو الالتباس فى أذهان كثير من الناس ، ولا سيما من المتدينين المسلمين . وكثيراً مما تستغلها إسرائيل فى دعايتها الصهيونية ، لكسب الرأى العام - وخصوصاً الغربى - إلى صفها .

هذه النقطة تتعلق بأسباب المعركة بيننا وبين اليهود وحقيقتها، فما هذه الأسباب التى أشعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود فى فلسطين، قبل أن تقوم إسرائيل فى سنة ١٩٤٨م وبعد قيامها إلى اليوم ؟ .

هل نعادى إسرائيل لأنها ساميّة ؟ :

هل سبب العداوة والحرب المستعرة بيننا - نحن العرب والمسلمين - وبين إسرائيل : أنها دولة سامية ؟.

والجواب : أن هذا أبعد ما يكون عن تفكير المسلمين، ولا يتصور أن يرد هذا بخواطرهم ؛ لسببين أساسيين :

الأول : أننا - نحن العرب - ساميون ، ونحن مع بنى إسرائيل فى هذه القضية أبناء عمومة ، فإذا كانوا هم أبناء إسرائيل - وهو يعقوب - ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فنحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

ولا تستطيع إسرائيل أن تزايد علينا فى ذلك ، ولا أن

تتهمنا بأننا أعداء (السامية) التى تتاجر بها فى الغرب ، وتشهرها سيفًا فى وجه كل من يعارض سياستها ، أو ينتقد سلوكياتها العدوانية واللاأخلاقية ، بل اعتبر القرآن المسلمين كافة أبناء إبراهيم : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الحج : ٧٨] .

والثانى: أن المسلمين عالميون إنسانيون بحكم تكوينهم العقدى والفكرى ، وليسوا ضد أى عرق من العروق أو نسب من الأنساب ، وقد علمهم دينهم أن البشرية كلها أسرة واحدة ، تجمعهم العبودية لله ، والبنوة لآدم ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال رسولهم الكريم : « أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب » رواه أحمد .

على أن اليهود اليوم لم يعودوا كلهم ساميين، كما يزعمون، فقد دخل فيهم عناصر شتى من سائر أمم الأرض، كما هو معروف عن يهود (مملكة الخزر) وغيرهم . وهذا طبيعى، فاليهودية ديانة، وليست جنسية .

هل نعادى إسرائيل لأنها يهودية ؟ :

وإذا كانت (السامية) ليست واردة فى أسباب حربنا

وعداوتنا لإسرائيل ، فكذلك (اليهودية) باعتبارها ديانة ليست هى السبب .

إن اليهودية فى نظر المسلمين (ديانة كتابية) من الديانات السماوية، جاء بها رسول الله موسى الذى اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور ، وهو من أولى العزم من الرسل ، وفى القرآن نقرأ قوله تعالى : ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٤٤ - ١٤٥] .

والقرآن اختار لليهود والنصارى (لقبًا) يوحى بالقرب والإيناس منهم، وهو (أهل الكتاب) ويناديهم بذلك (يا أهل الكتاب) ويعنى به : التوراة والإنجيل، إشعارًا بأنهم - فى الأصل - أهل دين سماوى ، وإن حرفوا فيه وبدلوا .

اليهود أقرب إلى ملة إبراهيم من النصارى :

بل أزيد على ذلك فأقول : إن اليهود - من الناحية الدينية - أقرب إلى المسلمين فى كثير من الأمور، من النصارى المسيحيين، لأنهم أقرب منهم إلى ملة إبراهيم عليه السلام، سواء فى العقيدة أم فى الشريعة .

فإن النصارى غيَّروا كثيرًا من أصول الدين وفروعه، على حين احتفظ اليهود ببعض هذه الأشياء مما ورث من ملة إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام .

فاليهود لا يقولون بالتثليث الذى يقول به النصارى، ولا يؤلهون موسى كما يؤله النصارى المسيح عيسى عليهما السلام.

وإن وقع اليهود فى تشبيه الخالق بخلقه، كما يبدو ذلك بجلاء لكل من يقرأ أسفار التوراة، وحديثها عن الألوهية.

على أن كل ما يؤمن به اليهود فيما يتعلق بالألوهية والنبوة، يؤمن به المسيحيون، لأن التوراة وملحقاتها (كتاب مقدس) عندهم .

ويزيدون على اليهود ما انفردوا به من تأليه المسيح أو القول بالتثليث.

واليهود يختنون أبناءهم على سنة إبراهيم عليه السلام كما يختن المسلمون، والنصارى لا يختنون.

واليهود يشترطون الذبح لحل أكل الحيوانات والطيور. كما يفعل المسلمون، والمسيحيون لا يذبحون لأن (بولس) قال لهم: كل شيء طاهر للطاهرين !

واليهود يحرمون الخنزير ، كما يحرمه المسلمون فى حين أحله النصارى.

واليهود يحرمون التماثيل التى تصنع للملائكة أو للأنبياء والقديسين ، كما يحرمها المسلمون ، فى حين لا يحرمها النصارى ، ولذلك امتلأت كنائسهم ومعابدهم بهذه الصور والتماثيل من كل حجم ولون.

فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة ، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضاً .

ومن أجل هذا يتبين لنا خطأ بعض عوام المتدينين الذين يتوهمون أن الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة ، ومعنى هذا : أننا نقاتل اليهود ، لأنهم يهود كفروا برسالة محمد ، وحرفوا كلام الله عن موضعه ، شوّهوا حقيقة الألوهية في كتابهم ، فقد شبهوا الخالق بالمخلوق ، كما شبه النصارى بعدهم المخلوق بالخالق، ولوثوا صورة الرسل والأنبياء . . إلى آخر ما هو معروف عنهم، مما حكاه القرآن من قتلهم الأنبياء بغير حق ، وتطاولهم على الله حتى قالوا: يد الله مغلولة، وقالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ! .

وهذه النظرة التى قد تخطر فى بال بعض الناس خاطئة تماما، فاليهود كما رأينا يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يبيح مؤاكلتهم، ويبيح مصاهرتهم ،وقد عاشوا قرونا بين ظهرانى المسلمين، لهم ذمة الله تعالى، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، وقد طردهم العالم، ولفظهم لفظ النواة، من أسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدراً حنوناً، إلا فى دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكر المسلمون يوماً أن يحاربوا اليهود.

بل هم قد بلغوا فى بعض الأقطار الإسلامية من النفوذ والغنى والقرب من الخلفاء والأمراء مبلغاً عظيماً ، جعل بعض

المسلمين يغبطونهم عليه أو يحسدونهم ، وقال فى ذلك الشاعر المصرى الساخر الحسن بن خاقان :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا

المجد فيهم ، والمال عندهمو ومنهم المستشار والملك!

يا أهل مصر ، إنى نصحت لكم تهودوا ، قد تهود الفلك![1]

سوء موقف اليهود من دعوة الإسلام :

وربما كان سبب اعتقاد كثير من المسلمين أن اليهود أسوأ فى العقيدة من النصارى : هو سوء موقف اليهود من دعوة الإسلام، ومن رسول الإسلام، عليه الصلاة والسلام. كما يتجلّى ذلك فى موقف يهود المدينة : بنى قينقاع، وبنى النضير، وبنى قريظة.

فهو موقف فى غاية السوء والعداوة للدين الجديد، والنبى الجديد، رغم أنهم كانوا يبشرون قبل ذلك بنبى قد قرب زمانه، وكانوا يهددون جيرانهم من العرب - الأوس والخزرج - أنهم سيؤمنون به، وينضمون إليه، ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم. ويبدو أنهم كانوا يظنونه من بنى إسرائيل، فلما وجدوه من بني إسماعيل، منعهم البغى والحسد أن يؤمنوا به.

---

(١) انظر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز ، ترجمة : أبو ريدة.

وجاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ** ﴾ [البقرة : ٨٩ – ٩١] .

ومع كفرهم برسالة محمد، فإن الرسول ﷺ، بعد الهجرة، عاهدهم وأقام معهم اتفاقية تقوم على التعايش والتناصر معا، وكتب معهم (الصحيفة) الشهيرة التى اعتبرها الكثيرون بمثابة (الدستور) الذى يحدد العلاقة بينهم وبين المسلمين. كما يحدد علاقة المسلمين بعضهم ببعض .

ولكنهم سرعان ما غلبت عليهم طبيعتهم فى نقض العهود، وتعدى الحدود، والكيد للرسول وأصحابه والانضمام إلى الوثنيين فى حربهم للرسول، حتى تحالفت بنو قريظة مع المشركين المغيرين على المدينة، الذين أرادوا استئصال شأفة المسلمين، وإبادة خضرائهم .

وكان لابد أن يقع الصدام بين الفريقين ، الذى انتهى بجلاء بنى قينقاع ، وإجلاء بنى النضير ، وقتل مقاتلة بنى قريظة ، وقتال أهل خيبر .

ونزلت آيات القرآن في سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والحشر وغيرها، تندد بموقف اليهود وشدة عداوتهم للمسلمين، كما في قوله تعالي: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ في حين تبين قرب مودة النصارى للمسلمين، حيث تقول الآية نفسها: ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [المائدة : ٨٢] .

ولهذا تجد الذين دخلوا في الإسلام من اليهود معدودين، نتيجة لتعصبهم وغرورهم وزعمهم أنهم شعب الله المختار، على حين دخلت شعوب كاملة من النصارى في الإسلام، مثل الشام ومصر وشمال أفريقية والأناضول وغيرها .

ثم كان من كيد اليهود للمسلمين بعد ذلك ما يحفظه التاريخ، وما ترك أثره العميق في أنفس المسلمين .

السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود :

والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك له، وهو : أنهم اغتصبوا أرضنا - أرض الإسلام، أرض فلسطين - وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم .. تكلم السيف فاسكت أيها القلم! وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًا

على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض، إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية، إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكف فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها الأمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض.

أما مبدأ (الأرض مقابل السلام) فهو مبدأ غريب حقًّا، فرضه منطق القوة الغاشمة للعدو، لا غير. لأن الأرض أرضنا، لا أرضه، حتى يتفضل بتنازله عنها، مقابل سلامه!

وحتى هذا السلام الأعرج، رفضته إسرائيل فى النهاية. فهى تريد أن تأخذ ولا تعطى شيئًا.

الطابع الدينى للمعركة:

وهذا لا ينفى الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة - وإن كانت من أجل الأرض - لها بواعثها الدينية، وأهدافها الدينية.

فكل معركة يدخلها المسلم للدفاع عن حق، أو لمقاومة باطل، أو لإقامة عدل، أو للثورة على ظلم، فهى معركة دينية، لأنها معركة في سبيل الله. قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ [النساء : ٧٦].

والإسلام يوجب على المسلمين - بالتضامن - الدفاع عن أرض الإسلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما

يعد من قُتل فى ذلك شهيداً من أعظم الشهداء. والجهاد - دفاعًا عن الأرض - فرض عين على أهلها حتى تتحرر، وإذا لم يكف أهلها للدفاع عنها، وجب على من يجاورهم، حتى يشمل المسلمين كافة فى النهاية، ولا يجيز شرع الإسلام للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام .

فإذا كانت أرض الإسلام هى أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد فى سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا فى دين الله .

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام دينية، كان أوجب علينا : أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن ، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخارى ومسلم، وإذا قالوا: نعظّم السبت، قلنا : نعظم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى. وبالجملة إذا قاتلونا تحت راية اليهودية قاتلناهم تحت راية الإسلام، وإذا جندوا جنودهم باسم موسي : جنَّدنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسي منهم !

*　　*　　*

بطلان دعاوى اليهود في القدس وفى فلسطين عامة

لليهود والصهاينة دعاوى عريضة ، يزعمون بها أن لهم حقًّا فى القدس أو فى فلسطين كلها ، وهم يتبجحون بهذه الدعاوى، التي لا سند لها من الدين ولا من التاريخ، وإن أسندوها زورا إلى الدين وإلى التاريخ.

لا حق لليهود فى القدس ولا فى فلسطين :

ونؤكد هنا بما لا يدع مجالا للشك : أن القدس عربية إسلامية، كما أن فلسطين كلها عربية إسلامية، وليس لليهود فيها أى حق، حتى يسلبوها من أهلها، ويحولوها إلى عاصمة لدولتهم القائمة على الاغتصاب والعدوان.

إن اليهود يزعمون أن لهم حقًّا تاريخيًّا ، وحقًّا دينيًّا فى فلسطين ، والواقع أنهم مغتصبون لأرض غيرهم، وليس لهم أدنى حق فى هذه الأرض، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الدينية. كما سنبين ذلك فيما يلى :

مناقشة عامة :

وقبل أن ندخل فى مناقشة الحق المزعوم لليهود فى فلسطين نود أن نسألهم : لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون

الماضية؟ بل لماذا لم يظهر فى أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظمة على يد (هرتزل)؟ فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هى المرشحة لتكون الوطن القومى لليهود. بل رشحت عدة أقطار فى أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين - باعتبارها أرض الميعاد - إلا بعد فترة من الزمن.

• لقد حاول هرتزل الحصول على مكان فى (موزمبيق) ثم فى (الكنغو) البلجيكى. كذلك كان زملاؤه فى إنشاء الحركة الصهيونية السياسية، فقد كان « ماكس نوردو » يلقب بالإفريقى، و« حاييم وايزمان » بالأوغندى، كما رشحت (الأرجنتين) عام ١٨٩٧ و(قبرص) عام ١٩٠١، و(سيناء) فى ١٩٠٢ ثم (أوغندا) مرة أخرى فى ١٩٠٣ بناء على اقتراح الحكومة البريطانية. وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة، لأن اليهود فى العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية، سواء لأسباب أيديولوجية، أو لأنهم كانوا عديمى الرغبة فى النزوح عن البلاد التى استقروا فيها. بل إن مؤتمر الحاخامات الذى عقد فى مدينة فيلادلفيا فى أمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانا يقول: إن الرسالة الروحية التى يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة!.

وإزاء هذا الموقف، فكر « هرتزل » في طريقة يواجه بها هذا الوضع، وهداه تفكيره إلى أن يحول الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود .. ورأى أن فلسطين هى المكان الوحيد الذى يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف، وانتصر رأى « هرتزل » وإن يكن بعد وفاته، فقد احتضن المؤتمر اليهودى العالمى فكرة الوطن اليهودى فى فلسطين عام ١٩٠٥، بعد موته بسنة.

دعوى الحق التاريخى :

من المعروف تاريخيًّا : أن أول من بنى القدس هم « اليبوسيون » وهم قبيلة من قبائل العرب القدامى، نزحت من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين، وذلك منذ نحو ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وكانت تسمى « أورشالم » أو مدينة « شالم »، وهو إله اليبوسيين، كما احتفظت باسمها الأول « يبوس » نسبة إلى القبيلة، وقد ورد ذكر هذا الاسم فى التوراة.

وبعد ذلك سكن القدس وسكن فلسطين عامة : العرب الكنعانيون وغيرهم قرونًا وقرونًا، إلى أن جاءها إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من وطنه الأصلى بالعراق، غريبا، وقد دخل

فلسطين هو وزوجه سارة، وعمره - كما تقول أسفار العهد القديم - (٧٥) سنة .

ولما بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق [١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة، ولم يمتلك شبراً من فلسطين، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبراً [٢] تدفن فيه .

ولما بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة، ولم يملك شبراً أيضاً منها .

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفساً لما دخلها، وكان عمره (١٣٠) سنة [٣] .

ومعنى هذا أن المدة التى عاشها إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب فى فلسطين: (٢٣٠) سنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعاً ولا شبراً .

وتقول التوراة: إن المدة التى عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى: (٤٣٠) سنة [٤]، كانوا أيضاً غرباء لا يملكون شيئاً، كما تقول التوراة: إن المدة التى عاشها موسى

---

(١) سفر التكوين: ف ١٢ .

(٢) سفر التكوين: ف ٢٣ .

(٣) سفر التكوين: ف ٤٦ .

(٤) سفر التكوين: ف ١٥ .

وبنو إسرائيل فى التيه بسيناء (٤٠) سنة، أى أن العهد الذى صدر إليهم من الله مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة، وهم لا يملكون فى فلسطين شيئًا فلماذا لم يحقق الله تعالى وعده لهم؟؟

ومات موسى ولم يدخل أرض فلسطين، إنما دخل شرقى الأردن ومات بها [١] والذى دخلها بعده: يشوع (يوشع)، ومات بعد ما أباد أهلها (كما تقول التوراة). وقسم الأرض على أسباط بنى إسرائيل، ولم يقم لبنى إسرائيل ملك ولا مملكة، وإنما قام بعده قضاة حكموهم (٢٠٠) سنة، ثم جاء بعد القضاة حكم الملوك: شاؤول وداود وسليمان، فحكموا (١٠٠) سنة، بل أقل، وهذه هى مدة دولتهم، والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقسمت مملكته بين أولاده: يهوذا فى أورشليم، وإسرائيل فى شكيم (نابلس)، وكانت الحرب بينهما ضروسا لا تتوقف، حتى جاء الغزو البابلى فمحقهما محقًا، دمر الهيكل وأورشليم، وأحرق التوراة، وسبى كل من بقى منهم حيا، كما هو معلوم من التاريخ..

ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار فى كتابه (اقترب الوعد الحق يا إسرائيل) قائلا:

---

(١) سفر الخروج: التثنية: ف ٣.

فلو جمعت كل السنوات التى عاشوها فى فلسطين غزاة مخربين ، ما بلغت المدة التى قضاها الإنجليز فى الهند أو الهولنديون فى أندونيسيا ! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخى لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم !

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة فى زمن الغربة، لكان الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التى عاشوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التى عاش فيها إبراهيم وأولاده (٢٠٠) سنة أو تزيد قليلا ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسا !.

لكن هؤلاء اليهود لا يدعون الحق فى امتلاك أرض فلسطين وحدها ، وإنما يدعون الحق فى امتلاك الكرة الأرضية كلها.

الله تعالى يقول : ﴿ **وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ** ﴾ [الرحمن: ١٠] ، أى لجميع الخلق ، وهؤلاء يقولون : (حين قسم العلىّ الأمم وفرق بنى آدم ، وضع تخوم الأرض على عدد أسباط بني إسرائيل) [١] ! ويقولون كما جاء فى سفر يشوع [٢]: (كل موضع تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم)! فعلى مقتضى هذا المبدأ والقانون يكون من حقهم أن يطالبوا بمصر وكل أرض وطئوها .

---

(١) سفر التثنية : ف ٣٢ ، أى فصلت الأرض على قدهم .

(٢) ف ١ وتثنية أيضًا .

بل فى نكبة (٥ يونيو ١٩٦٧) سأل مندوب الأسوشيتدبرس جنديا إسرائيليا : ما هى حدود دولة إسرائيل؟ فأجابه بكل صلف وغرور : (حيث أضع قدمى)، وضرب بحذائه الأرض [١] .

إن الحق التاريخى الذى يدعونه - كما يقول الشيخ عبد المعز - خرافة وصلافة ، فهم لن يقيموا فى فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك الأسفار، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدعى ملكية الأرض التى أقلته، أو الشجرة التى أظلته، لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين، وإنما أقاموا فى سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التى لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض « يهوذا وإسرائيل »، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين.

وقد بلغ عدد من قتلوا من الفلسطينيين مائتى ألف قتيل [٢]، وعدد من قتلهم داود وحده بعد ذلك أكثر من (١٠٠) ألف قتيل [٣] ! - حسب قول كتبهم - ثم دهاهم الغزو البابلى فبددهم.

---

(١) صحيفة الأخبار ١٠ يونيو ١٩٦٧ م .

(٢) كما هو ثابت فى فصول سفر القضاة.

(٣) سفر الملوك : ٢ ، ٣.

على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلى ، حتى جاءهم الغزو الرومانى فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق ، ثم جاء الفتح الإسلامى وهم مشردون فى الأرض ، محرم عليهم أن يقيموا فى أورشليم ، حتى إن البطريك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر وهو يسلمه مفاتيح القدس : ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها .

لقد دخلها العرب وهى خالية من اليهود ، بعد ما طردهم الرومان ، وأسلم أهلها ، وبقى العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام ، أفلا يكون لهم حق تاريخى مثل اليهود؟[1] أ . هـ.

مناقشة هادئة :

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التى زعم بها اليهود أن فلسطين كلها كانت أرض الآباء والأجداد .

يقول مؤلف (تاريخ اليهود) :

« والذى لا شك فيه أن داود – الذى يقال : إن مملكة

---

(١) انظر : « اقترب الوعد الحق يا إسرائيل » للشيخ عبد المعز عبد الستار ص ١٧ – ٢١ ، وكتاب : « هل لبنى إسرائيل حقوق توراتية فى فلسطين العربية ؟ » لمحمد أحمد أبو فارس ، نشر مكتبة بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع .

إسرائيل وصلت فى عهده إلى أقصى درجات اتساعها — لم يتمكن من فرض سيطرته ، لا على المنطقة بين النيل والفرات ، ولا على أرض كنعان وحدها ، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية ، وعلى ذلك فإن الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها فى أى وقت من الأوقات لم تكن فى العصور القديمة ، وإنما فى العصر الحديث، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان وأرض سيناء ، وكان ذلك للمرة الأولى (عام ١٩٦٧ م).

فلم يكن لبنى إسرائيل وجود — أيام داود — لا فى أى موقع بالساحل الفلسطينى، ولا فى الجليل بشمال فلسطين، بخلاف موقع صغير عند تل القاضى، ولا فى صحراء النقب فى الجنوب، وكان وجودهم عندئذ منحصرا فى بعض المواقع الجبلية فى المنطقة الممتدة من دان « تل القاضى » فى الشمال إلى « بئر سبع » فى الجنوب.

وسوف نرى كيف أن الكهنة الذين أعادوا صياغة كتب « العهد القديم » وهم فى بابل خلال القرن السادس ق . م ، استعاروا من الكتابات المصرية قصة حروب تحتمس الثالث، أعظم ملوك العالم القديم ، لتكوين الإمبراطورية المصرية بين النيل والفرات — كما نجدها منقوشة على جدران معبد الكرنك — وأضافوها إلى رواية ملكهم داود ، بل حتى لم

يحاولوا مزج الجزء الذى استعاروه من المصادر المصرية ، وأدخلوه كما هو من دون تعديل كبير فى وسط الرواية الرئيسية ، فظهر واضحاً أنه لا علاقة له بباقى القصة ، فنحن نجد داود بنى إسرائيل ومعه جيشه المكون من (٦٠٠) رجل يحاولون فى صراع داخلى بين القبائل الإسرائيلية ، أو مع الفلسطينيين ، وفجأة نجد تفاصيل معركة كبيرة تخوضها جيوش منظمة فى مواقع محصنة عدة من أرض الهلال الخصيب ، ولم يكن صدق الرواية التاريخية يهم الكهنة فى شىء ، وإنما كان هدفهم الرئيسى من ادعاء هذه الانتصارات الجبارة هو حث بنى إسرائيل على ترك عبادة الأصنام والعودة إلى ديانة موسى، حتى ينصرهم ربهم على أعدائهم [1] .

ولابد لنا أن نذكر - ولو بإيجاز - ما صنعه البابليون والرومان ببنى إسرائيل ، الذين سلطهم القدر عليهم لتأديبهم ، جزاء إفسادهم فى الأرض وطغيانهم بغير الحق .

ففى عام (٥٩٧ ق . م) زحف الملك البابلى « نبوخذ نصر » على أورشليم ، وأخذ معظم سكانها أسرى إلى بابل - وبتحريض من مصر ثارت البقية من سكان المدينة على سادتهم الجدد . فقدم ملك بابل بنفسه وفرض على أورشليم حصاراً استمر عامين (٥٨٨ ق . م) ، واستسلمت المدينة

---

(١) انظر تاريخ اليهود لأحمد عثمان : ١ / ١٣٦ ، ١٣٧ .

على أثره ودمرت ، ولم يترك البابليون فيها إلا الضعفاء ، أما بقية أهلها فقد سيقوا فى الأسر إلى نهر الفرات .

ومنذ ذلك الوقت - كما يقول الأستاذ محمد صبيح - انتهى وجود اليهود فى فلسطين كحكومة لها سلطة وشعب يتبعها . وبقى لهم المعنى الدينى ، وهو أنهم شعبة من القبائل ، تنتسب لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

هذه هى خاتمة اليهود فى أورشليم ، أى فيما كان يسمى مملكة إسرائيل التى أنشأها داود عليه السلام ... ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا ، وإسرائيل .. وقد حكم فى أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكا حتى ابتداء السبى البابلى ، وذلك فى الفترة من عام (٩٣٠ ق . م) (وفاة سليمان) حتى عام (٥٨٦ ق . م) .

أما المملكة الشمالية، التى كان اسمها إسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس)، فقد حكمها الابن الثانى لسليمان الحكيم، أى عام (٩٣٠ ق . م) وانتهى وجودها سريعًا. ففى عام (٧٢٢ ق . م) أغار عليها سرجون الثانى ملك بابل، ودمر وجودها ، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وأحل محلهم سكانا جددًا من أبناء الرافدين. وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا، عاشوا فى شغب، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم فى أورشليم.

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين ، تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط ، منذ عهد شاول (١٠٢٠ ق ٠ م) ٠

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالى ستة قرون ، وبعد خمسة وعشرين قرناً وبعض قرن ، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى ، وياله من تاريخ ، ويالها من عودة ! ٠

ونحن هنا نتحدث عن « السيادة » على قطعة من الأرض ونهايتها ٠ أما ختام الوجود اليهودى فى فلسطين فقد تأخر بعض الوقت . . تأخر إلى عهد الرومان إلى عام (٧٠م)، كما سنرى فيما بعد ٠

حديث القرآن عن إفساد بنى إسرائيل وعقوبتهم :

وقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين : تدمير سيادتهم بالأسر البابلى ، وإنهاء وجودهم بالسحق الرومانى ، وذلك فى الآيات الكريمة :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ .

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٤ - ٨] .

آيات سورة الإسراء ورأى بعض علماء العصر :

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوى والشيخ عبد المعز عبد الستار وغيرهما إلى أن المرة الأولى فى إفساد بنى إسرائيل كانت فى عصر النبوة بعد البعثة المحمدية ، وهى ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ،وأهل خيبر ، من كيد وبغى على الرسول وأصحابه ، وقد نصرهم الله عليهم .

وكان العباد المسلطون عليهم هم النبى والصحابة . بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى الله بقوله ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ . أما إفسادتهم الثانية فهى ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم، وانتهاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسفك للدماء، وغيرها .

وسيتحقق وعد الله تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل .

تفنيدنا لهذا الرأى وأدلة ذلك :

ورأيى أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه :

أولاً : أن قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ** ﴾ أى أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب ،والمراد به : التوراة ، كما قال قبلها : ﴿ **وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ** ﴾ وما جاء فى الكتاب أى أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا ، كما فى سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا : أن قبائل بنى قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بنى إسرائيل فى قوتهم وملكهم ، إنما هم شرائح صغيرة من بنى إسرائيل بعد أن قطعوا فى الأرض أمما.

ثالثًا : أن الرسول والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بنى إسرائيل – كما أشارت الآية الكريمة – إذ لم تكن لهم ديار ، وإنما هى ديار العرب فى أرض العرب .

رابعًا : أن قوله تعالى ﴿ **عِبَادًا لَّنَا** ﴾ لا يعنى أنهم من عباده الصالحين ، فقد أضاف الله تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ** ﴾ [الفرقان : ١٧] .

وقوله : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر : ٥٣].

خامسًا : أن قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**

﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء : ٦] يتضمن امتنان الله تعالى عليهم بذلك ، والله تعالى لا يمتن على بنى إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين .

سادسا : أن الله تعالى إنما رد الكَرَّة لبنى إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم فى المرة الأولي ، لأنهم أحسنوا وأصلحوا ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ** ﴾ [الإسراء : ٧] واليهود - كما عرفناهم وشاهدناهم - لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط الله عليهم هتلر وغيره. كما يبتلى ظالما بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا ، فمتى أحسنوا حتى يرد الله لهم الكرة علينا ؟؟ .

سابعًا : أن الله تعالي قال في المرة الآخرة : ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾

[الإسراء : ٧]

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير فى حروبهم وفتوحهم. إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا : أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرتى الإفساد قد وقعتا، وأن الله تعالى عاقبهم على كل واحدة

منهمـا، وليس هناك عـقـوبة أشـد وأنكى عليـهم من الهـزيمة والأسـر والهـوان والتـدمـيـر على أيدى البـابليين الذين مـحـوا دولتهـم من الوجود، وأحرقوا كتابهـم المقدس، ودمروا هيكلهم تدمـيـرا، وكـذلك ضـربة الرومـان القـاصـمـة التى قـضت على وجودهم فى فلسطين قضاء مبرما ، وشردتهـم في الأرض شذر مذر ، كما قال تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا** ﴾

[الأعراف : ١٦٨]

والواضح أنهـم اليوم يقعون تحت القانون الإلهى المتمثل فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا** ﴾ [الإسراء : ٨] وهاهم قد عـادوا إلى الإفـسـاد والعلو والطغيان، وسنة الله تعالى أن يعود عليهـم بالعـقـوبة التـى تردعهـم وتؤدبـهم ، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لها   بالنعل والنعل لها حاضرة!

يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾ [الأعراف : ١٦٧]

وهذا الدمـار الأول، الذى تم على أيدى البـابليين، وتحدث عنه القـرآن الكريم علي النحـو الذي نراه، كـان بالغ التأثير على اليـهود. . فقـد أزال معظم الوجـود اليـهودى من فلسطين . وظهر من السهولة التى أجلى بها البابليون سكان (منطقـة إسـرائيل)، على يد « سـرجـون » ثم سكان (منطقـة يهـوذا) على يد « نبـوخـذ نصـر » . أن جـذور هؤلاء القـوم لم

تكن عميقة فى أرض فلسطين. وإذا استثنينا المعبد وقصر سليمان ، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تسعة قرون قبل هذا الإجلاء. وكل ما يمكن أن نقوله: إنهم أقاموا فى جزء من أرض كنعان، بما فيها من قرى صغيرة. وحتى المدن كانت أشبه بالقري، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس) [١] .

الفتح الإسلامى :

وقد فتح المسلمون القدس فى عهد عمر، كما ذكرنا من قبل، ولم يتسلموها من اليهود، بل لم يكن فيها يهودى واحد، فقد حرمها الرومان عليهم ، بعد أن أنهوا وجودهم منذ أكثر من أربعة قرون، وكان من الشروط التى أقرها عمر لبطريك القدس: ألا يساكنهم فيها يهود.

وظل العهد العمرى محترمًا معمولاً به خلال التاريخ الإسلامى، لأن المسلمين مأمورون أن يتبعوا سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، ولا ريب أن عمر منهم، إلى أن ظهر عهد آخر مزور على عمر رضى الله عنه، حذف منه النص بعدم إقامة اليهود فى بيت المقدس، ولا ندري متى زور هذا العهد[٢]، ومن ثم بدأ التسلل اليهودى إلى المدينة المقدسة فى غفلة من المسلمين.

---

(١) انظر : القدس ومعاركنا الكبرى ص (٢١٨ - ٢٢٠) لمحمد صبيح .

(٢) انظر : القدس ومعاركنا الكبرى ص (٣٢٧ - ٣٣٠) .

وقد ذكر لنا تاريخ الحروب الصليبية : ماذا أصاب المدينة المقدسة عندما احتلها الصليبيون، وقتلوا ستين ألفًا فى مسجدها ، وبقيت تحت أيديهم تسعين عامًا، إلى أن حررها القائد المسلم المظفر صلاح الدين الأيوبى رحمه الله سنة (١١٨٧) بعد انتصاره على الصليبيين فى معركة حطين الشهيرة، مكملاً ما بدأه من قبل القائدان الكبيران : عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد .

ولم يُعر التاريخ التفاتا إلى الوجود اليهودى فى فلسطين ، ولم يعطهم اهتمامًا ، وعاملهم كما يعامل أهل الذمة فى دار الإسلام تسامحًا وكرمًا وعدلاً وبرًّا .

محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية :

ولكن الذى يحفظه التاريخ جيداً هو محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية، وخصوصًا فى فترات شيخوختها وضعفها، للسماح لليهود بتملك أجزاء من فلسطين، ولا سيما فى عصر السلطان عبد الحميد، الذى وقف موقفًا مشرفًا يحفظه التاريخ ويسجله له بأحرف من نور .

كتب د. حسان حلاق [1] فى صحيفة « النهار » اللبنانية تعقيبًا جيدًا مبنيًّا على الحقائق التاريخية قال فيه :

---

(١) أستاذ جامعى فى بيروت وله كتاب عن علاقة الدولة العثمانية بفلسطين .

منذ أن تولى السلطان عبد الحميد الثانى السلطنة العثمانية (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) تنبه إلى خطورة إشغال الأراضي الفلسطينية لاسيما من اليهود ، لهذا فقد أصدر منذ فترة مبكرة فرمانات سلطانية عدة تمنع إقامة اليهود الدائمة فى فلسطين . وفى عام (١٨٨٢ م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنى ردًّا على محاولات « جمعية أحباء صهيون » : الحصول على إذن رسمى بالهجرة، وقد حاول فى الفترة ذاتها « لورنس أوليفانت » (L . oliphant) أن يوسط استراوس السفير الأمريكي فى الآستانة للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثاني : « أن اليهود يستطيعون العيش بسلام فى أية جهة من المملكة إلا فى فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود فى فلسطين يكون أساسها الدين، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضى العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين ، وأن يقبلوا تطبيق القوانين المعمول بها فى الإمبراطورية » .

لهذا فقد حرص السلطان عبد الحميد على تعيين متصرفين فى فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية واستقرار اليهود فى مدنها، وكان فى مقدم هؤلاء متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٦ - ١٨٨٨ م)، وعندما تيقنت

الدولة العثمانية أن بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالى قرارًا فى (٢٩ حزيران ١٨٩٢ م) تتضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين، وتكررت هذه الفرمانات، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها فى دعمها الهجرة اليهودية.

هذا وقد أكدت وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F . O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية ،ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطانى فى القدس حينما أشار فى تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى « أن التعليمات الصادرة من الباب العالى تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار فى فلسطين غير مسموح بها، أما الذين يرغبون فى زيارة البلاد كحجاج فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر أو شهرين ينبغى عليهم بعدها مغادرة البلاد » .

لقد حاول الزعيم الصهيونى تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثانى للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة، ووسّط لهذه الغاية : البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا والقوى الأمريكية وبعض الأوساط التركية، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدولة العثمانية، ومما قاله : « إن القضاء على الدولة العثمانية

أو تقسيمها هو الحل الوحيد لقيام الدولة اليهودية، إنه إذا تم تقسيم تركيا فى المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة الصهيونية التى تقام فى فلسطين حاجزاً، أما إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سنداً قويا بالمال إذا هو تخلى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده» (يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٩٦ م) .

لقد كانت الزيارة الأولى لهرتزل لاسطنبول فى (١٨ حزيران ١٨٩٦م)، وقد زارها كصحافى وليس كزعيم صهيونى، وكرر زياراته فى ما بعد، ولكن من دون جدوى، وأهم تعبير عن موقف الدولة والسلطان عبد الحميد الثانى من المطالب الصنهيونية ما دونه هرتزل فى يومياته ومذكراته بعد أن صدم من الموقف العثمانى . لقد دون هرتزل موقف السلطان حينما رد على الوسطاء بما يأتى : «لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحداً من البلاد، لأنها ليست لى بل لشعبى، لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فى ما بعد بدمائهم ،وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا . . لا أستطيع أبداً أن أعطى أحداً أى جزء منها، ليحتفظ اليهود بملياراتهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين، من دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأى

غرض كان » (يوميات هرتزل ١٩ حزيران ١٨٩٦م)، ص ٣٧٨ ، (الترجمة العربية ص ٣٥) .

لقد استمر هرتزل حتى وفاته عام (١٩٠٤ م) يحاول الحصول على إذن رسمي بالهجرة اليهودية إلي فلسطين، وقد فشل في مساعيه جميعها، مما دعاه للتفكير قبل وفاته بضرورة إزاحة السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش حتى يتحقق الحلم الصهيونى، وبالفعل فإن قادة الحركة الصهيونية رأوا ضرورة الارتباط مع القوى الدولية الهادفة إلى السيطرة علي الدولة العثمانية وتقسيمها ،ومن ثم التعاون مع القوى التركية المعارضة للسلطات الممثلة بجماعة « تركيا الفتاة » وجناحها « الاتحاد والترقى »، وهى الجمعية الطورانية المتعصبة ضد العرب، والعاملة ضد كل ما هو عربى، لهذا كله تجمعت القوى الصهيونية والماسونية والدونمة والقوى الدولية ،وبدأت اجتماعاتها المكثفة فى خلايا سالونيك للتخطيط لخلع السلطان عن العرش، بعد أن تعذر تحقيق الحلم الصهيونى وهو لا يزال على العرش .

لقد أشارت الوثائق البريطانية والوثائق التركية إلى أن الحقيقة الظاهرة فى تكوين « جمعية الاتحاد والترقى » أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ إنشائها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركى خالص، فـ (أنور) باشا مثلاً هو ابن رجل بولندى، وكان (جاويد) من يهود الدونمة،

و (قارصوه) من يهود إسبانيا ،وكان (طلعت) باشا بلغاريًا من أصل غجرى اعتنق الإسلام ظاهرًا، أما (أحمد رضا) فقد كان نصفه شركسيًّا والنصف الآخر مجريًّا، كما أن (نسيم روسو) و (نسيم مازلياج) كانا من اليهود ومن العناصر الفاعلة فى حركة « تركيا الفتاة » التى أعدت الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثانى .

لقد نجحت هذه القوى مجتمعة فى ثورة عام (١٩٠٨م)، وفى خلع السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش عام (١٩٠٩)، ودفع السلطان ثمنًا غاليًا نتيجة مواقفه المشرفة من فلسطين ومن العرب . والدولة العثمانية بعد عام (١٩٠٩م) هى غيرها قبل عام (١٩٠٩ م) ، وكان أحد رموز الحكومة الجديدة ورموز الطورانية (أحمد جمال) باشا الذى عانى منه الشعب اللبنانى والسورى فى عامى (١٩١٥ - ١٩١٦ م)، وهذا الرجل ليس هو سوى وليد الحركة الصهيونية والدونمة و « الاتحاد والترقى » وهى القوى المعادية للعرب وللعروبة على السواء أ.هـ[١] .

وهى فى نفس الوقت معادية كل العداء للإسلام : عقيدته وشريعته ونبيه وقرآنه وحضارته وأمته .

وخلاصة هذا البحث ما قاله صديقنا البحاثة . د . حسان

---

(١) جريدة النهار فى ٢٢ / ٤ / ١٩٩٧ .

حتحوت: أن اليهود عاشوا فى فلسطين فترة محدودة من الزمن، ولكن التاريخ يسجل: أنهم عندما دخلوها، لم يجدوها فارغة، وعندما رحلوا عنها لم يتركوها فارغة ! لقد كان فيها أهلها (الفلسطينيون المذكورون فى التوراة). قبل اليهود، ومع اليهود، وبعد اليهود، وما زالوا حتى الآن. والحق التاريخى إذن لا يقوم على أساس، والأجدر أن يسمى (الزيف التاريخى) [1].

دعوى الحق الدينى :

ويزعم اليهود أن لهم حقًّا دينيًّا فى فلسطين. يقول الشيخ عبد المعز :

حدثنا الإمام فقيد الإسلام السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين رحمه الله قال : كنت أرد زيارة للمندوب البريطانى حاكم فلسطين ، فقال لى : إن أمى علمت بوجودك وتود مقابلتك ، فقلت له : أهلا وسهلا ، وجاءت العجوز ، فكان أول ما قالته لى : أرجوك ألا تقف ضد إرادة الرب ، فقلت لها : يا سيدة ، ومن يستطيع أن يقف ضد إرادة الرب ؟ قالت : أنت ، قلت لها : كيف ؟ قالت : لأنك لا تريد أن تعطى اليهود الأرض التى أعطاها الله لهم ، قلت : إنها أرضى وبيتى وكيف يعطيها الله

---

(١) انظر : كتاب (بهذا ألقى الله) للدكتور حتحوت ص ١٨٤ .

لهم وأنا أين أذهب ؟ قالت : إنها إرادة الله ! ولما انتهت المقابلة قلت لابنها : إن والدتك طيبة متأثرة باليهود ، قال : لا ، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا والأناجيل تبشر به .

ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة (١٩٣٩م) تحدد فيه أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين ثار اليهود وسيروا المظاهرات فى عواصم أوربا تهتف : الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق فى فلسطين .

التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقنا فى فلسطين [١] .

وهذا ما رأينا أثره بجلاء فى مواقف الرؤساء الأمريكيين منذ عهد ترومان ، وقرأناه بوضوح فى مذكرات « كارتر » الذى أعلن أن تأسيس إسرائيل المعاصرة تحقيق للنبوءة التوراتية ! ولمسناه فى سياسات ريجان وبوش وكلنتون ، وهو ما يجسد « البعد الدينى المسيحى » [٢] فى الصراع الإسرائيلى مع العرب .

وقد أثرت الأدبيات اليهودية فى تكوين العقيدة المسيحية، ولا سيما لدى البروتستانت ، وقد دارت هذه الأدبيات حول محاور ثلاثة :

---

(١) اقترب الوعد الحق ص ١٦ .

(٢) وقد ألف فى ذلك د. يوسف الحسن كتابه « البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى » نشره مركز دراسات الوحدة العربية .

الأول : أن اليهود هم شعب الله المختار ، والأمة المفضلة على سائر الأمم .

الثانى : أن ثمت ميثاقا إلهيا ربط اليهود بالأرض المقدسة فى فلسطين، وأن هذا الميثاق الذى أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام : ميثاق سرمدى حتى قيام الساعة .

الثالث : هو ربط الإيمان المسيحى بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيونية : أى بإعادة تجميع اليهود فى فلسطين ، حتى يظهر المسيح فيهم .

هذه المحاور الثلاثة هى التى تؤلف اليوم – كما ألفت فى الماضى – قاعدة « الصهيونية المسيحية » التى تربط الدين بالقومية ، والتى تسخر الاعتقاد الدينى المسيحى لتحقيق مكاسب يهودية (١) .

تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح :

١ – الإشارة الأولى هى : قيام إسرائيل ، وقد قامت سنة (١٩٤٨ م) .

٢ – والإشارة الثانية هى : احتلال مدينة القدس ، وقد احتلت سنة (١٩٦٧ م) .

٣ – والإشارة الثالثة هى : إعادة بناء هيكل سليمان على

---

(١) انظر : الأصولية الإنجيلية لمحمد السماك ص ٣٦ ، ٣٧ .

أنقاض المسجد الأقصى. وهذا ما تعمل له إسرائيل منذ زمن، وما تقوم به من حفريات تحت بنيان المسجد الأقصى، بحجة البحث عن آثار يهودية مطموسة، وفى مقدمتها الهيكل المزعوم.

ومن المعروف أن الهيكل قد دمر من قديم، ورغم بحث اليهود وحفرياتهم لم يعثروا له على أثر، وأعتقد أن تواصل هذه الحفريات يعرّض المسجد العظيم لخطر الانهيار، كما أعتقد أن اليهود يعرفون متى سيحدث ذلك، وهم الذين يحددون ذلك اليوم المشؤوم لا قدر الله.

وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية:

وأحب أن أقف وقفة متأنية أمام ما زعمه كتبة « العهد القديم » من نصوص تقول: إن الله وعد إبراهيم عليه السلام بأن يعطى لنسله أرض فلسطين، وكذلك وعد ابنه إسحاق، ووعد حفيده يعقوب الذى سمَّوْه « إسرائيل ». وعلى هذا الأساس سموا هذه الأرض: أرض الميعاد. فى هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة:

من هم نسل إبراهيم ؟

أولا : ما المقصود بنسل إبراهيم عليه السلام : أهم أبناؤه من صلبه أم هم أبناؤه الروحيون ؟ أعنى : الذين يتبعون ملَّته، وينهجون نهجه، ويهتدون بهداه ؟ أما أبناؤه

وأحفاده من صلبه ، فهم - مثل أبيهم إبراهيم - لم يملكوا من هذه الأرض شبراً واحداً. فما المقصود بالأبناء إذن؟.

إن المنطق الملائم للنبوة وللخلة التي تميز بها إبراهيم (خليل الله) : أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه،وهذا ما ذكره القرآن حين قال : ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾

[آل عمران : ٦٨]

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ١٢٤].

بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة ، وأن الظالمين لا يستحقون عهد الله ، لأن ما عند الله ينال بالأعمال لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ».

وقد برىء إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدو لله ، كما برىء من قومه لما كفروا بالله ،كما قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة : ٤]

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾

[التوبة : ١١٤]

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم ؟! :

ثانيا : لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه ، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول ؟ ولماذا انحاز الله - الحكم العدل - إلى بنى إسرائيل ضد بنى إسماعيل ؟!.

لقد ذكرت التوراة - فى سفر التكوين - أن (إسماعيل ابن إبراهيم) فى أكثر من اثنى عشر موضعا .

إلا أن الإسرائيليين يقولون : إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرة سارة، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم ؟ وكلاهما نبيا رسولا من عند الله ؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم؟ .

وهنا سؤال آخر مهم - سأله لهم . د.حسان حتحوت - عن أبناء إسرائيل (يعقوب) - الاثنى عشر، فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل تزوج ابنتى خالته : راحيل وليئة، جاريتيهما : زلبا وبلحا ، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل ، فلم اعتبرتموهم من بنى إسرائيل، ولم تنقصوا من بنوتهم مثقال ذرة ؟ وهنا لا يجدون جوابا .

هذا، وقد استمر التسرى بالجوارى فى بنى إسرائيل، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أن داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجوارى ، وأما ابنه سليمان فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية . ولا نزاع فى أن هؤلاء الجوارى أنجبن أولادا

لداود وسليمان، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السرارى من بنى إسرائيل، فما يقول اليهود فى ذلك أيضاً؟.

أين عدل الله ؟!:

ثالثا : كيف يعطي الله - الحكم العدل ، الذى حرم الظلم على نفسه ، وحرمه علي عباده - أرضا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًّا مستقرًّا، لفئة من الناس، هم دخلاء على هذه الأرض، غرباء عنها، وأين عدل الله تعالى وقسطه، وهو يحب المقسطين ، ولا يحب الظالمين ؟.

وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه :

رابعًا : هل هذا الوعد - إن صح - بمنح هذه الأرض: وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطا فهل تحققت شروطه؟.

الذى يقرأ « الكتاب المقدس» عند النصارى - وخصوصاً أسفار العهد القديم، يجد أن وعد الله لبنى إسرائيل إنما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم، ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه، حتى يكونوا أهلا لنصر الله وتمكينه، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية والحكمة الربانية، فإن الله لا يعامل الناس بأنسابهم، بل بأعمالهم .

اليهود نقضوا عهد الرب:

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

التثنية / ٦ : ١٨ : « احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التى أوصاكم بها ».

التثنية / ٦ : ١٨ : « اعمل الصالح والحسن فى عينى الرب لكى يكون لك خير ، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التى خلف الرب لآبائك » .

التثنية / ٧ : ١١ : « فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعلمها » .

هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية - العهد القديم - تشرح الشروط وتفصل الأسس التى جعلها الرب « رب بنى إسرائيل » جوهر « العهد » .

لكن .. هل أدى .. والتزم .. وحافظ الطرف الثانى على ما أمره الرب به ؟.

الكتاب المقدس - الذى هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية ،واتباعه طاعة لأوامر الرب - يسجل :

أولا : سفر الخروج / ٣٢ : ٢ - ٣ - ٤ : « فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره

بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا [1]، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ».

لقد عبد بنو إسرائيل أصناما من دون الله الواحد الذى قام « العهد » بينه وبينهم ، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا – من جانبهم – بقيادة هارون (شقيق النبى موسي)! شروط وأسس « العهد ».

ثانيا : النبى إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات :

الملوك الأول / ٩ : ١٠ : « .. لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف .. وهم يطلبون نفسى ليأخذوها ».

ثالثا : النبى موسى « ذاته » (أى قبل النبى إيلياه) كان قد قال :

التثنية / ٩ : ٢٣ – ٢٤ : « يقول موسي : عصيتم

---

(١) فى القرآن : أن الذى صنع العجل الذهبى لبنى إسرائيل هو السامرى ، وأن هارون عليه السلام أنكر عليهم هذا العمل ، ولكنهم لم يسمعوا له . أنظر الآيات (٨٥ – ٩٨) من سورة طه ، وفيها : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوا أَمْرِى * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ .

قول الرب إلهكم ، ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله ، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم » .

رابعا : الرب نفسه يقول ليشوع :

يشوع / ٧ : ١١ : « الرب يقول : قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدى الذى لأمرتهم به ، بل أخذوا من الحرام ، بل سرقوا ، بل أنكروا . . . » .

ملاحظة : « أخطأ إسرائيل » فى هذا النص تعنى : ارتكبوا خطيئة .

خامسا : خاطب نحميا بنى إسرائيل بهذا القول :

نحميا / ٣ : ٢٠ :« حقا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت إسرائيل، يقول الرب » .

سادسا : نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بنى إسرائيل :

عدد / ٣٢ : ١٤ : « يقول موسى لبنى إسرائيل : فهو ذا أنتم قمتم عوضا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكى تزيدوا أيضا حنق (غضب) الرب على إسرائيل » .

سابعا : ميخا / ٣ : ٩ – ١٠ – ١١ : «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب ، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون

الحق، ويعوجون كل مستقيم ، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم ، رؤساؤها يقضون بالرشوة ، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة ، وأنبياؤها يعرفون بالفضة . . » .

نكتفى بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم ، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بنى إسرائيل لشروط وبنود « العهد » الذى يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما .

أيضًا فى العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع « العهد المزعوم » .

أولا :يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب :

متى / ٢١ : ٣١ : ٤٣ : « قال لهم يسوع : الحق أقول لكم أن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله ، لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل آثاره » .

ثانيا : يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بنى إسرائيل :

متى / ٣ : ٧ : « قال لهم .. يا أولاد الأفاعى » .

ثالثا : يسوع نفسه يقول لبنى إسرائيل :

متى / ٢٣ : ٣١ – ٣٢ – ٣٣ : « فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم » .

هكذا ... واستنادا على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفيا فى هذا الفصل ، يتضح أنه ومنذ أيام

موسى ويوشع بعده ، ثم إيلياه وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان ، وأخيرا فى زمن يسوع المسيح ، خرقت - من جانب واحد - شروط وأسس وبنود « العهد » الذى أبرم بين الله وإبراهيم ، خرقت مرارًا ومرارًا - وفى عصور كثيرة، وعليه يبرز التساؤل :

وهل - بالرغم من هذا الاستهتار « بعهد الرب » وخرقه- لا تزال قائمة حقوق توراتية فى القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة فى بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا ومصر والأردن؟ لجماعات مثل « الفلاشا » الأثيوبيين، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا ، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون فى الكيبوتز) باسم « عهد » خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون - مرات ومرات ومرات - فى حقبات مختلفة من التاريخ؟ هل فى مثل هذه المطالبات بحقوق .. ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟ (١).

منطق القرآن : الأرض يرثها الصالحون :

إن منطق القرآن : أن الله تعالى يعطى الأرض ويورثها للصالحين من عباده ، وليس لعرق من العروق ، وجنس من الأجناس ، فالله تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم ، بل بإيمانهم وأعمالهم وتقواهم لله : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

---

(١) انظر : هل لبنى إسرائيل حقوق توراتية فى فلسطين ؟ لمحمد أحمد أبو فارس (ص ٣١ ، ٣٢).

يقول تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا، وكذبوا رسل الله وآذوهم وصدوا عن سبيل الله .

كما قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ [إبراهيم : ١٣ ، ١٤] .

ولقد كانت الأمة الإسلامية هى الأمة المؤهلة لوراثة أرض النبوات ، وتحقيق وعد الله لإبراهيم فى أن يعطى هذه الأرض لنسله – إن صحت هذه النبوءة – فهاهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم ، بل هاهم أبناء إبراهيم الروحيون ، الذين هم أولى الناس به ، وأتبعهم لملته ، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها ، وأقاموا فيها العدل والإحسان ، أربعة عشر قرنا من الزمان . وهم أصحاب الأرض وأهلها ، وهم باقون فيها إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ووجودهم فى هذه الأرض هو الوجود الشرعى الوحيد الذى يقره الله ورسله والمؤمنون ، وكل المنصفين من عباد الله . وأما وجود الصهاينة فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم ، يستحيل أن يدوم . فهو حتما إلى زوال . وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

هل عرفنا عدونا ؟

من الواجب على كل من يحارب عدوًّا : أن يعرفه على حقيقته معرفة محيطة ومستوعبة، بحيث يعرف جذوره وأصوله، ومقومات شخصيته، وأخلاقه وصفاته الأساسية، ومفاهيمه وقيمه وأحلامه وطموحاته، وكيف يفكر، وكيف يخطط ، وكيف ينفذ ، وبمن يستعين من الناس، وبماذا يستعين من الوسائل، وما يجوز عنده وما لا يجوز، وما الذى يجمع شعبه وما الذى يفرقه؟ وما الذى يحركه وما الذى يسكنه؟ وماذا يملك من أسباب ذاتية، وماذا يستطيع أن يجلب من أسباب ومعونات خارجية . . إلى غير ذلك مما يكشف العدو، ويعرف بحقيقته على ما هى عليه من قوة أو ضعف .

ونحن نعلم أن الدول فى عصرنا ومجالس أمنها القومى وأجهزة مخابراتها ومؤسساتها الاستعلامية والأمنية والعسكرية المختلفة، تعمل جاهدة على أن تعرف كل ما تستطيع عن عدوها : جغرافيًّا وتاريخيًّا، ماديًّا وبشريًّا، اقتصاديًّا وسياسيًّا، اجتماعيًّا وثقافيًّا، فكريًّا وروحيًّا، حتى تبنى استراتيجيتها على أساس علمى صحيح مستمد من الواقع .

كما نعلم أن إسرائيل -- ومن وراءها من القوي الغربية

المساندة لها وبخاصة الأمريكان - قد كشفونا حتى النخاع ، وأمسوا يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا فى كثير من الأحيان . وعندهم من الوسائل والآليات ما يساعدهم على ذلك بيسر .. ولا سيما أن كل ما عند هذه القوى الجبارة من معلومات متاح - بلا ريب - لإسرائيل وأجهزة إسرائيل .

فهل عرفنا نحن عدونا ، كما يوجبه علينا ديننا ومصلحتنا ووجودنا نفسه ؟؟ .

مصادر أساسية لمعرفة عدونا :

الحقيقة أننا لم نحسن التعامل مع عدونا، كما ينبغى، وكما تفرضه علينا طبيعة الصراع المرير والمديد، مع هذا العدو العتيد .

أما أننا لم نحسن التعامل مع عدونا ، فلأننا لم نعرف مواطن القوة عنده، لنتحاشاها، أو نقاومها بمثلها أو أشد منها إن استطعنا، ولم نعرف نقاط الضعف فيه لنهاجمه منها، وذلك لأننا لم نحاول بصدق أن نتعرف على شخصيته، ونسبر أغوارها، ونعرف خصائصها ومقوماتها، ونظرتها إلى الأديان وإلى القيم وإلى الناس، ولم ندرس المؤثرات الحقيقية على هذه الشخصية، وبذلك نعرف كيف تفكر، وكيف تخطط وكيف تنفذ ، لم نعرف ماذا تريد ، وكيف تصل إلى ما تريد • وربما تبين لنا بعض ما كان خافياً من قبل ، ولكن لم نصل إلى ما كان يجب الوصول إليه من معرفة عدونا .

وكان فى إمكاننا بسهولة الرجوع إلى عدد من المصادر الأساسية الميسورة لنا لتعرفنا بحقيقة عدونا. أما هذه المصادر فهى:

القرآن الكريم:

المصدر الأول: القرآن الكريم: القرآن الكريم الذى أفرد للحديث عن بنى إسرائيل مساحة واسعة بين فيها خصالهم، وكشف اللثام عن سماتهم النفسية والخلقية التى توارثوها خلفاً عن سلف، حتى أصبحت كأنها طبيعة ثابتة. نجد ذلك واضحاً فى سورة البقرة بتفصيل، وفى سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، من السور المدنية، وفى سورة الأعراف، وسورة الإسراء – وتسمي: سورة بني إسرائيل – وغيرها من السور المكية.

وصفهم القرآن الكريم بالقسوة والجبن فى الوقت ذاته وبالحسد والبغى، وصفهم بنكث العهود والغدر، والتطاول حتى على رسل الله، بل على الله نفسه، وعدم الخضوع إلا للقوة، واستباحتهم لأموال من عداهم وحرماته.

أقرأ مثل قوله تعالي: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقد ظهرت هذه القسوة فى دير ياسين وفى صبرا وشاتيلا وغيرها.

وقوله سبحانه : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة : ١٣] .

﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٦] .

والواقع يصدق القرآن بما نقضوه من الهدنات والاتفاقيات . وقوله : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] .

فهم لا يقاتلون مواجهة حرصا على حياتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦] ولكن يختبئون وراء الحصون والحواجز .. وهم فى خلاف وتناقض فيما بينهم ،ولكنهم قادرون على إخفائه، بحيث يحسبهم من ينظر إليهم من الخارج صفًّا واحداً، رغم أن قلوبهم شتى، ووجهاتهم متباينة .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران : ١٨١]

فهذا يدل على تبجحهم وتطاولهم وقلة أدبهم ، حتى مع الله جل جلاله .

وقال سبحانه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا

بحبلٍ مِّنَ اللَّهِ وحبلٍ مِّنَ النَّاسِ وباءُوا بغضبٍ مِّنَ اللَّهِ وضُربت عليهم المسْكنة ذَلكَ بأنَّهُمْ كانُوا يكفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ ويقتُلُونَ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ ذلك بما عصوا وَّكانُوا يعتدُونَ ﴾

[آل عمران : ١١٢]

فهذا يدل على أن الذلة مضروبة عليهم أينما كانوا إلا إذا اعتصموا بحبل من الله، فآمنوا حقًّا، أو بحبل من الناس يحمونهم كالأمريكان في عصرنا . وذلك جزاء كفرهم وقتلهم أنبياء الله . واستمرارهم على العصيان والعدوان .

﴿ ومنهُم مَّنْ إن تأمنهُ بدينارٍ لاَّ يُؤدّهِ إليك إلاَّ ما دُمْتَ عليه قائمًا ذَلك بأَنَّهُمْ قالُوا ليس علينا في الأُمّيّين سبيلٌ ويقُولُونَ على اللَّهِ الْكذبَ وهُمْ يعلمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

وهذه هي مقولتهم مع العرب ومع سائر الأمم : أن لا حرج عليهم إذا أكلوا أموالهم ، ونهبوا ديارهم ، واستحلوا حرماتهم ، فليس عليهم في الأميين سبيل ! .

وصفهم القرآن بالغرور والزهو حيث قالوا : **﴿ نحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبَّاؤُهُ ﴾** [المائدة : ١٨] .

فرد عليهم القرآن بقوله : **﴿ قُلْ فلِمَ يُعذّبُكُم بذُنُوبكُم بلْ أنتم بشرٌ مّمّنْ خلق ﴾** [المائدة : ١٨] ، **﴿ وقالُوا لن تمسَّنا النَّارُ إلاَّ أيَّامًا مَّعدُودةً ﴾** [البقرة : ٨٠] .

ورد عليهم القرآن دعواهم بقوله : **﴿ قُلْ أتَّخذْتُمْ عند اللَّهِ**

عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠] .

ووصفهم القرآن بأنهم فئة لا تخضع إلا لمنطق القوة، حتى أمر الله تعالى ونهيه لا يدينون له ما لم تكن فوقهم قوة مادية قاهرة تجبرهم على الطاعة، وفى ذلك يقول القرآن : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١] .

وحديث القرآن عن القوم حديث طويل ، ينبغى أن يراجع فى مظانه من كتب التفسير القديم والحديث ،وقد أُلِّفت فى ذلك كتب خاصة (١) .

ولقد قال بعض المفسرين قديما : كاد القرآن يكون لموسى وبنى إسرائيل ! وذلك لكثرة ما ردد قصتهم .

المصدر الثانى : كتبهم المقدسة عندهم :

الثانى : كتبهم أنفسهم ، المقدسة عندهم ، « التوراة » التى وصفتهم بأنهم الشعب « الصلب الرقبة » وأفهمتهم أنهم « شعب الله المختار » وأن من حقهم إذا دخلوا قرية أن يستبيحوها .

وأسفار الأنبياء : حزقيال وأشعيا وغيرها ، التى شحنتهم

---

(١) من ذلك كتاب : بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى ، واليهود فى القرآن لعفيف طبارة .

وهيأت عقولهم وأنفسهم للعودة إلى « الأرض » التى هى أحد « الأقانيم الثلاثة » عندهم : الإله والشعب والأرض ! .

والتلمود الذى جعل منهم أمة فوق خلق الله جميعًا، تستعلى عليهم ، وتستحل دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وتستخدم في ذلك كل وسيلة مهما تكن دناءتها، فهى شريفة ومشروعة فى سبيل أغراضهم .

وكتبهم حافلة بأوصافهم والإنكار عليهم ، وعلى مواقفهم وأخلاقهم . ومن قرأها وجد فيها العجب ، من تمردهم على الله وعلى رسله .

أقرأ مثل هذه النصوص :

تقول التوراة (سفر التثنية : ٣٢ ، ٣٣) فى هؤلاء القوم : « جيل أعوج ملتو ، الرب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًّا غير حكيم ؟ « . . » انظر ماذا تكون آخرتهم ؟ إنهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم » .

« إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم » .

ويقول موسى نبيهم لهم وقد فاض به الكيل من سوء ما صنعوا معه : « لأنى أنا عارف تمردكم ، ورقابكم الصلبة . هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى ! » وغيرها كثير وكثير .

المصدر الثالث : التاريخ :

وهو مخزن العبر، ومعلم الأجيال، وقد علمنا التاريخ أن

اليهود يعيشون بين الشعوب عيشة الطفيليات فى الأجسام، تتغذى منها ولا تغذيها، وتأخذ منها ولا تعطيها، وأنها تبنى نفسها على أنقاض غيرها. فهم أنانيون لا يعرفون إلا مصلحتهم، ولا يؤمنون إلا بأنفسهم، ولا يحكمون إلا منافعهم، أما القيم والمبادىء والمثل العليا وغيرها مما يتشدق به الناس، فلا تحترم عندهم إلا إذا كانت أداة للوصول إلى غاياتهم. وإلا فهى تحت الأقدام.

ومن قرأ تاريخ اليهود - أو بنى إسرائيل كما يسمونهم - من أسفارهم المقدسة عندهم ذاتها ، تبينت له هذه الحقيقة جلية جلاء الصبح لذى عينين ،كما أبرز ذلك الأستاذ محمد عزت دروزة فى كتابه عنهم « تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم » .

ومن قرأ تاريخهم معنا وتاريخنا معهم، عرف ذلك جيداً ، وعرف معه أنهم وراء كل فتنة، ومصدر كل بلية، حتى قال من قال : فتش عن اليهود !.

كتابات المعاصرين عنهم :

المصدر الرابع : كتابات المعاصرين عن اليهود وأطماعهم وعن الصهيونية وأخطارها ، وعن شخصية الإنسان اليهودى وما تنطوى عليه بين جوانحها.

ولا أقصد كتابات العرب والمسلمين عنهم فحسب ، فقد يقال : إنها كتابة خصم عن خصمه ، وعدو عن عدوه.

بل أقصد كتابات الغربيين عنهم، وهم الذين هيأوا المناخ لدولتهم حتى ولدت، وغذوها حتى شبت، وأمدوها بكل أسباب القوة حتى طغت وتحدت وتعدت.

وآخر من كتب عنهم المفكر الفرنسى الكبير الذى هداه الله ،فانتقل من النصرانية والماركسية إلى الإسلام، روجيه - أو رجاء - جارودى، فى كتابه «أحلام الصهيونية وأضاليلها» الذى نشرته فى مقالات متتابعة عدة صحف عربية.

صحيح أنه نشر كتابه بعد أن أسلم، ولكنه كتبه قبل أن يسلم ، وهى كتابة تعكس قراءة ومعايشة ومعاناة طويلة لأفكار القوم ومشاعرهم وأحلامهم وطموحاتهم وأخلاقهم. وكتب بعد ذلك كتابه الشهير (الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل) الذى هيج عليه الصهاينة فى أنحاء العالم، وانتهوا به إلى أن يحاكم فى بلده فرنسا ، وأن يحكم عليه.

وليحذر فى الكتابات المعاصرة من أمر على غاية من الأهمية ، نقع نحن فى شباكه دون أن ندرى. ألا وهو المبالغة فى إبراز قوة اليهود ومكرهم، كما تبرزه كتب مثل « الدنيا لعبة إسرائيل» و «وأحجار على رقعة الشطرنج» وغيرهما. فإن هذا يؤدى فى النهاية إلى لون من الجبرية السياسية، يدعو إلى قبول الأمر الواقع، والقضاء النافذ، والاستسلام للقوة الخفية التى تحكم العالم القوى، فكيف بنا نحن الضعفاء؟!.

الواقع المعيش لليهود :

المصدر الخامس: هو الواقع، واقعنا المعيش معهم، وهو كتاب لم تتم فصوله بعد، وهم يضيفون إليه كل حين فقرة أو فصلا أو بابا أو جزءا. ونحن مع هذا به جاهلون وعنه غافلون.

واجهنا القوم فى عدة حروب، وعقدنا معهم هدنات واتفاقيات، وحضرنا معهم مفاوضات، وتخاطبنا معهم بالكلام والسلاح.

وقد عرفنا هذا الواقع أن القوم لا يعترفون بقوة المنطق، بل بمنطق القوة ، فهم بالقوة أخذوا الأرض من أصحابها، وبالقوة حققوا حلم الوطن القومى، وبالقوة أقاموا فيه دولتهم ، وبالقوة أضافوا إلى هذه الدولة أراضى جديدة: الجولان والقدس والضفة الغربية.

وبالقوة غزوا لبنان من قبل على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين والعالم، وفرضوا إرادتهم على المجتمع العربى والدولى بإخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت فخرجت، ولم يكتفوا بذلك حتى عملوا على ذبح الفلسطينيين العزل فى مخيمات اللاجئين، فذبحوا جهارا نهاراً، وما زالوا يعدون لمعارك أو مذابح أخر !.

وآخر ما حملته الأنباء وأنا أكتب هذه السطور (١٩ / ١٠ / ١٩٨٢م)[1] ما قاله مناحم بيجن رئيس وزرائهم

---

(١) بعض أجزاء هذه الرسالة كتب منذ بضعة عشر عاما .

فى خطاب له بمناسبة افتتاح الدورة الشتوية للكنيست الإسرائيلى ، فقد أعلن أنه « لا حاجة مطلقا لمبادرات سلام جديدة فى الشرق الأوسط، ما دام لا يوجد خطر أية مجابهة بين إسرائيل وجيرانها العرب خلال المستقبل المنظور » .

وأضاف : « ولذلك فإن السؤال المطروح هو : لماذا نهدم الهيكل الحالى للسلام ؟ ولماذا نخلق شروطا جديدة يمكن أن تؤدى إلى تجدد الحروب وإراقة الدماء » ! .

ومعنى هذا بصراحة : أن العجز العربى عن شن أى حرب هو وحده الذى يضمن سلام إسرائيل . ومعنى هذا كذلك : أن القوة فى نظر بيجن ومؤسسته العسكرية هى الأصل، وهى الفيصل وهى الحكم . « تكلم السيف فاسكت أيها القلم! » .

وبيجن الواقعى لم ينس أن يقيد كلامه بقوله : « خلال المستقبل المنظور » يعني : ما لم تحدث متغيرات من حوله غير محسوبة ولا متوقعة، كأن يصحو النائمون، أو يجتمع المتفرقون، أو يخطط المرتجلون، أو يقدم المترددون ويعمل القاعدون ! .

وواقعنا المعيش مع عدونا يعلمنا أن العنصر الديني له أكبر الأثر فى تكوين شخصيته، وفى تحديد أحلامه وطموحاته، وفى دفعه إلى بذل المال - برغم ما عرف عن اليهود من شح به وحرص عليه - وفى تحميسه للهجرة من وطن طال مقامه فيه، وارتبطت مصالحه به، وفى حفزه

للمغامرة فى أعمال عسكرية قبل قيام الدولة وبعدها، برغم ما عرف عن الإنسان اليهودى من جبن وحرص على حياة.

إنهم اختاروا فلسطين وطنا لهم بناء على أحلام ونبوءات دينية يؤمنون بها؛ فهى فى نظرهم «أرض الميعاد». إنهم يستقون أفكارهم وآمالهم من تعاليم توراتية تلمودية.

وقد بلغ من عنايتهم بالعنصر الديني فى قضيتهم: أنهم أثروا فى الغرب المسيحى، وأقنعوه بأنهم يلتمسون حقًّا قرره لهم الدين، وبشرتهم به التوراة التى يؤمن بها المسيحيون، وأن من لم يساعدهم في تحقيق أمانيهم القومية يكون متنكراً للتوراة، جاحداً بتعاليم الأنبياء!.

ولعل أقرب مثل يصدق هذا ما نشره الرئيس الأمريكي السابق «جيمى كارتير» فى مذكراته التى نشرت - منذ سنوات - حول اتفاقيات كامب ديفيد.

فهو يتحدث عن أول زيارة له إلى إسرائيل (مايو / ١٩٧٣م) وكيف أعطته فرصة «لتعلم المزيد عن (أرض الإنجيل) التى درسنا عنها منذ أيام طفولتنا المبكرة» كما قال:

«وظللت ثلاثة أيام أبدأ من قبل الفجر تجوالى فى شوارع القدس القديمة، وأملأ فراغى كل يوم وليلة بزيارات رائعة للأماكن المقدسة التى شهدت التاريخ القديم، وللأماكن التى ما يزال يصنع التاريخ فيها».

« تركت هذه الزيارة لإسرائيل انطباعا كبيرا عليّ، فعندما بدأت أعد حملتى الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة - فيما بعد - واصلت دراستى للتاريخ المعقد لمنطقة الشرق الأوسط ، وعندما أعلنت ترشيحى للرئاسة خصصت بالذكر تأييدى لالتزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل!

ويقول : « كانت الأخلاق اليهودية النصرانية ودراسة « التوراة » أواصر بين اليهود والنصارى، وقد ظلت هذه الأواصر جزءاً من حياتى. كذلك قد كنت أعتقد اعتقاداً راسخًا بأن اليهود الذين لم تقض عليهم جائحة النازية يستحقون أن يكون لهم وطن خاص ، كما أن لهم الحق في أن يعيشوا فى سلام بين جيرانهم ، واعتبرت أن هذا الوطن القومى لليهود يتماشى مع تعاليم « التوراة » ! .

ولذا فإنه أمر شرعه الله !! وقد جعلت اعتقاداتى الخلقية والدينية هذه التزامى بأمن إسرائيل التزاما لا يتزعزع »[١] !!

ولقد نشرت الصحف منذ سنوات تصريحًا للجنرال الإسرائيلى المعروف موشى ديان يبرر به ضم القدس إلى إسرائيل وإنشاء مستوطنات جديدة فيقول : « إن على الذين يعارضون هذه السياسة مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة !) .

---

(١) الترجمة لجريدة « الشرق الأوسط » جدة - ٤ / ١٠ / ١٩٨٢م.

وقد أثرت هذه الدعاية في كثيرين في مختلف القارات ممن يعتنقون النصرانية، حتى نقل الأستاذ كامل الشريف في كتابه «المغامرة الإسرائيلية في إفريقيا» عن زعيم سياسي نيجيري في كتاب له عن إسرائيل قال فيه:

(إن إسرائيل ليست اسماً جديداً في تاريخ العالم. فقد علمت في مدرسة الأحد في قريتي : أن شعب إسرائيل هو شعب الله المختار) !.

ولقد بلغ من تركيز عدونا على الجانب الديني أنه حاول أن يستغل ديننا ذاته لتأييد قضيته، حتى إنهم بعد حرب سبع وستين كانوا يرفعون أمام بعض ضباطنا وجنودنا لافتات كتب عليها قوله تعالى في القرآن: ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وأحيانا قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم : ٤٧]

ومن عجائب ما سمعناه وقرأناه أن مناحيم بيجن حينما خطب - معقبا على خطاب الرئيس: «أنور السادات» في الكنيست الإسرائيلي - ليؤكد حق اليهود في إقامة وطن في فلسطين، كان مما قاله: «إن حق إسرائيل في فلسطين حق أبدى تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه» .

واستدل هنا بالآية الكريمة التي جاءت في سورة المائدة

(آية ٢١) على لسان موسي عليه السلام : ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ .

وقال : « إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق ، فلا يجوز لأحد دينيا أن ينازعنا فيها » !! .

والآية تعنى : أنه كتب لهم دخولها ، أى قدره سبحانه ، وقد دخلوها بالفعل وأنفذ الله قدره ، بعد ما ضرب عليهم التيه أربعين سنة جزاء نكوصهم ، وقولهم لنبيهم ومنقذهم في وقاحة متناهية : ﴿ **إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة : ٢٤]

ولا تعنى الآية أن الله كتب لهم البقاء الدائم فيها ، وإلا لتناقض هذا مع الواقع، فقد أُخرجوا منها منذ ألفى سنة!! .

كتابات اليهود عن أنفسهم :

المصدر السادس : ما يكتبه يهود اليوم عن أنفسهم : عن شخصية اليهودى، عن هويته وتكوينه، عن انتمائه وولائه، عن طموحاته وأحلامه. عن دوافعه وغاياته.

وحسبى أن أسجل هنا بعض مقتطفات من كتاب صدر حديثا فى « الكويت » عن « الأيديولوجية الصهيونية » اعتمد مؤلفه على كتابات اليهود - من مختلف الاتجاهات الدينية والعلمانية - عن أنفسهم ، وتفسيراتهم لكتبهم،

ونبوءات أنبيائهم، وتاريخهم البائد، وواقعهم القائم، وتطلعاتهم الجامحة، عن « الأقانيم الثلاثة » التى تتكون منها أيديولوجيتهم: الشعب .. التوراة .. الأرض.

يقول المؤلف: من المعروف أن التيار الحلولى فى اليهودية القديمة عبر عن نفسه فى إدراك العلاقة بين (اليهودى والأرض والله). وإذا كان تاريخ اليهود هو حجر الزاوية فى تاريخ العالم، فالأرض المقدسة هى مركز الدنيا. والمعادل الجغرافى للتصور اليهودى للتاريخ.

وسنورد فيما يلي بعض الاقتباسات من كتابات بعض الصهاينة، لنبين أن بنية الحلولية اليهودية التقليدية هى البنية الكامنة الواضحة فى موقف الصهاينة من الأرض، وسنكتفى بالحد الأدنى من التعليق:

(تظهر الحلولية القديمة، بشكل حاد وكامل، فى كلمات الحاخام حاييم لانداو: إن روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها إلا إذا عادت الحياة القومية إلى أرضنا من جديد، لأن « القبس الإلهى » لا يؤثر فى شعبنا إلا وهو فى أرضه ».

أما الحاخام الصهيونى كوك فيقول: « ليست أرض إسرائيل شيئًا منفصلا عن روح الشعب اليهودى • إنها جزء من جوهر وجودنا القومى . ومرتبطة بحياتنا ذاتها ، وبكياننا

الداخلى ارتباطا عضويا . . . إن ما نعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة فى شعبنا كله ، والتى تشع بتأثيرها على كل العواطف السليمة » .

هذه الحلولية الثلاثة قد لا تظهر واضحة فى كتابات الصهاينة العلمانيين، ولكنها تظهر بشكل واضح فى كتابات بوبر، الذى كتب لغاندى يقول :

« إننا لم نستطع ، ولا نستطيع أن نتخلى عن المطلب اليهودى ، فهناك شيء أسمى حتى من حياة شعبنا، مرتبط بهذه الأرض ، إنه عمل الشعب ورسالته المقدسة » . « إننى أؤمن بتزاوج الإنسان والأرض . . . إن هذه الأرض تعترف بنا لأنها – بواسطتنا – تصبح مثمرة » .

إن المطلق الذى يعلو على الإنسان قد ربط الشعب بالأرض ربطا لا فكاك للشعب منه .

واستعارة عبارة الزواج التى استخدمها بوبر، تحيط بها هالة من القداسة فى التراث اليهودى، فعلاقة الله بالشعب قد وصفت فى العهد القديم بأنها علاقة زواج، ولا يختلف موقف بوبر، برغم إنسانية مصطلحه الزائفة، عن موقف الحاخام القبالى : « نحن شعب لا يليق بنا أن نلقب بإسرائيل (المدافعين عن الله) إلا إذا كنا فى أرض إسرائيل » .

ويقول جوردون « المتمرد » : « إن البعث القومى لن يتم

إلا عن طريق العودة إلى حقول وطننا القومى وتحت سمائه . . إننا نأتى إلى وطننا لنزرع فى تربتنا الطبيعية التى نزعنا منها، ولنضرب بجذورنا عميقة فى مصادرها الحياتية. ولنمد فروعنا بعيداً خلال هواء وطننا القومى وتحت شمسه».

« وحينما سئل وزير الدفاع الإسرائيلى السابق، وهو عالم آثار يهودى أيضاً، ومفسر غير متفرغ للتوراة، عما إذا كانت مطالب إسرائيل «الدينية» و «التاريخية» بخصوص بعض أجزاء الأرض المحتلة يجب أن يكون لها دور فى السياسة الإسرائيلية، أجاب قائلا: «هذا هو أساس الوجود الإسرائيلى، وهى: الشعب اليهودى، والكتاب المقدس وأرض اليهود.

(ولذلك) إذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة فلابد أن تكون معهما أيضاً أرض التوراة».

ويتحدث المؤلف عن العنف وفلسفته عند الصهاينة، إلى أن يقول: «وهذا الجانب من الفكر الصهيونى يتضح بجلاء فى كتاب الثورة، الذى كتبه مناحم بيجن. يقول فيلسوف العنف: «أنا أحارب، إذن أنا موجود».

«من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، نموذج غير معروف البتة للعالم فى الألف والثمانى السنين الماضية: اليهودى المحارب أولا وقبل كل شىء، يجب أن نقوم بالهجوم: نهاجم القتلة. بالدم والعرق سينشأ جيل متكبر كريم قوى».

« والعنف عند بن جوريون، يقوم بالوظيفة نفسها فى إعادة صياغة الشخصية اليهودية؛ إذا يصف الرواد الصهاينة بهذه الكلمات: « كنا ننتظر مجيء الأسلحة ليلاً ونهاراً، ولم يكن لنا حديث إلا الأسلحة، وعندما جاءتنا الأسلحة، لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا، كنا نلعب بالأسلحة كالأطفال ولم نعد نتركها أبدا ... كنا نقرأ ونتكلم والبنادق فى أيدينا أو على أكتافنا ». وموقف بن جوريون مبني على تصور جديد للشخصية اليهودية على أنها شخصية محاربة منذ قديم الأزل: « إن موسى، أعظم أنبيائنا هو أول قائد عسكرى فى تاريخ أمتنا »، ومن هنا يكون الربط بين موسي النبى وموشى ديان مسألة منطقية، بل حتمية، كما لا يكون من الهرطقة الدينية فى شيء أن يؤكد بن جوريون أن خير مفسر ومعلق على التوراة هو الجيش؛ فهو الذى يساعد الشعب على الاستيطان على ضفاف نهر الأردن، فيفسر بذلك كلمات أنبياء العهد القديم ويحققها. (ولنلاحظ كيف يكتسب العنف هو الآخر شيئا من القداسة !).

(وإذا كان العنف هو البوتقة التى يولد من خلالها اليهودى الجديد، فهو أيضا البوتقة التى يولد فيها المجتمع الصهيونى الجديد. فالجيش الإسرائيلى لا يقوم بالدفاع عن إسرائيل فحسب، بل إنه المكان الذى تولد فيه الحضارة الإسرائيلية ذاتها: « عن الجيش مدرسة للشباب الناشىء ». دار

حضانة لتفرد الأمة، لحضارتها وشجاعتها، « وهنا فى الجيش يجب أن يجند معلمونا بكل ما أوتينا من قوة » . والجيش هو أكبر معهد تعليمى فى أرض الميعاد؛ فالمهاجرون يلتحقون بهذا المعهد حال وصولهم إلى إسرائيل، حيث يكتسبون الخبرات، ويتعلمون العبرية، ويطرحون عنهم قصور المنفى ليصبحوا مواطنين إسرائيليين عاديين وحسب كلمات بن جوريون لعب الجيش دورا حضاريا أساسيًّا فى مزج جماعات المهاجرين بعضها بالبعض الآخر) .

ويتحدث المؤلف عن الولاء عند اليهود ولمن يكون، فكان مما قاله : (وقد عد ليفي أشكول المساهمات اليهودية التى تتم على « أرض أجنبية » محض خيانة للروح اليهودية الخالصة، ومثل هذا الطرح يثير قضية ولاء اليهود، ولمن يكون؟ والإجابة الصهيونية على هذا السؤال واضحة تمام الوضوح؛ فولاء اليهود الموجودين فى كل مكان هو لشعبهم اليهودى ولوطنهم القومى فحسب، وليس لأوطانهم التى يعيشون فيها . ولذا حذر كلاتزكين الشعب الألمانى من أن حدود ألمانيا لا تستطيع، بأى صورة من الصور، أن تحد من حركة الشعب اليهودى أو ولائه، لأن ولاء اليهودى ليهوديته شيء يسمو على الحدود الوطنية : « إن اليهودى المخلص لا يمكنه إلا أن يكون مواطنًا يهوديًّا، ولا يمكن أن تجد فى الوجدان اليهودى أدنى أثر للقومية الألمانية، ثم يضيف

كلاتزكين «أن كل يهودي يدعو بلدا أجنبيا وطنه إنما هو خائن للشعب اليهودى». وبين وايزمان أن فى أعماق كل يهودى صهيونيا كامنا، وأن أولئك الذين يتساوى ولاؤهم القومى اليهودى مع ولائهم لأوطانهم جدير بالرثاء والاحتقار).

(ولعل تقسيم العالم إلى يهود وأغيار، الذى يتبناه الصهاينة، ثم يعطونه مضمونا زمنيًّا، يأخذ شكلا إجراميًّا فى كلمات الحاخام موشيه بن صهيون أو سبزاى، الذى يفسر التلمود بطريقة تسوغ القضاء على الفلسطينيين واحتلال كل فلسطين، ويأخذ هذا التقسيم ذاته شكلا عرقيًّا قبيحًا فى كلمات الحاخام إبراهام أفيدان (زامل)، حاخام القيادة المركزية الإسرائيلية، حينما نصح بعدم الثقة فى العرب، لأن على اليهود - فى رأيه، وحسب الشريعة الدينية - ألا يثقوا فى الأغيار. ولكن حينما يخبر الحاخام الجنود الإسرائيليين أنه «مصرح لكم، بل من واجبكم، طبقا للشريعة، أن تقتلوا المدنيين (من الأغيار) حتى لو كانوا من الخيرين، أو بمعنى أصح، المدنيين الذين قد يبدو أنهم خيرون، حينما يقتبس لهم من التلمود هذه الكلمات: «ينبغى عليك أن تقتل أفضل الأغيار» فالمسألة تتوقف عن كونها عنصرية قبيحة، لتصبح تحريضًا على الإبادة).

* * *

هذا .. هو عدونا

إن مشكلة إسرائيل أنها وليدة الصهيونية، وأنها مصابة بآفات أو عاهات أساسية ملازمة لها، وهى جزء من كيانها، وليست أعراضًا طارئة عليها، وهى التى تقف حائلا وحاجزًا بيننا وبينهم.

وإذا كان التعرف على عدونا المغتصب لأرضنا ، المهدد لوجودنا واجبًا دينيًّا وقوميًّا ، فلا يتم لنا ذلك إلا إذا حاولنا التعرف على هذه الآفات الخطيرة ، المنبثقة عن العقلية والنفسية الصهيونية ، التى كونتها تعاليم التلمود الخطرة ، مضافًا إليها تطلعات الصهيونية الأشد خطرًا.

١ - العنصرية :

أولى هذه الآفات هى : العنصرية، وهذه آفة فى بنية الفكر الدينى اليهودى الذى أنشأته أسفار التوراة وملحقاتها، وغذته ونمته تعاليم التلمود، الذى يقدسه اليهود أكثر من تقديسهم للتوراة ، فاليهود ديانة شعب ، والتوراة كتاب شعب ، بل الله سبحانه رب شعب، هذا الشعب هو شعب إسرائيل.

نرى القرآن يعلن فى صراحة ويقين : إن الله هو ﴿ رب

الناس ﴾ ، و ﴿ رب كل شيء ﴾ ، و﴿ رب العالمين ﴾ ، لم يقل : إنه رب العرب ، أو رب المسلمين ، فى حين تقول التوراة فى تأكيد عن الله : إنه « رب إسرائيل » ! .

بل إن التوراة من أولها إلى آخرها لا تهتم إلا ببنى إسرائيل، وتاريخ بنى إسرائيل، وأحلام بنى إسرائيل، فلا ذكر فيها للآخرة ولا للجنة أو النار، إنما العناية فيه بملك إسرائيل، ومجد إسرائيل.

إن التوراة تقول عن هذا الشعب : إنه « الشعب المختار »، ونحن نقول هذا عنه أيام كان يحمل رسالة التوحيد، ويحارب الوثنية، وينفذ تعاليم الأنبياء، حتى إذا غير ما بنفسه غير الله ما به، فقد انحرف فى عقيدته، وانحرف في سلوكه، ووقف في وجه الأنبياء والرسل ، كما قال القرآن : ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة : ٨٧]، ولهذا قال يوحنا المعمدان ، وقال المسيح عليهما السلام لهم: يا أولاد قتلة الأنبياء ! .

والقرآن الذى أعلن أن الله فضل بنى إسرائيل على العالمين، أى عالمى زمانهم، هو نفسه الذى قال : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩]، ﴿ **ضُرِبَتْ**

عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

وقد توهم بعض الناس أن تسمية إسرائيل « الشعب المختار » أشبه بتسمية الأمة الإسلامية : ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ ، وهذا خطأ يقينًا، فالأمة الإسلامية ليست أمة عنصرية، بل هى أمة رسالة وأهداف ومبادىء من آمن بها واعتنقها، فهو من هذه الأمة، من أى عرق أو أى لون أو أى وطن كان .

لقد استدر اليهود عطف العالم عليهم باعتبارهم جنسا مضطهداً مشرداً، شهروا سيف الاتهام الذى استغلوه استغلالاً بشعًا، وهو « معاداة السامية » .

والحقيقة أن معظم يهود اليوم ليسوا ساميين ، وليسوا من نسل إسرائيل، بل هم كما أثبت كثير من الباحثين المنصفين من الغربيين الذين قالوا : إن يهود اليوم ليسوا يهودا، أى ليسوا ساميين ولا إسرائيليين، بل إن نسبة كبيرة من اليهود هم من سلالة يهود مملكة الخزر، التى نشأت فى شرق أوروبا، حين اعتنق بعض قبائل التتار الدين اليهودى، وبعد سقوط مملكة الخزر انتشر عدد منهم فى منطقة القرم، وغدت بولندا

مهجرهم الرئيسى، حيث قدر عددهم فيها عام (١٦٥٠م) بحوالى نصف المليون، وكانوا يتمتعون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتى، حتى أعملت فيهم جيوش شمبيلتكى الأوكرانى المذابح، ودمروا جاليتهم فى سنة (١٦٥٨م) [١].

إن اليهود طالما شكوا إلى العالم والقوى المؤثرة فيه من معاداة السامية، وهم الآن يعادون (السامية الحقيقة) المتمثلة فى شعب فلسطين العربى السامى، الذى أخرج من دياره، وشرد فى الآفاق بغير حق.

وإن اليهود الذين شكوا من (العنصرية النازية) المتعالية، يجسدون اليوم (عنصرية نازية جديدة) متعصبة لا ترى إلا نفسها، ولا تعترف بحق لغيرها، وخصوصاً إذا عارض اتجاهاتها.

٢ - العنف والعدوانية:

وإذا كانت (العنصرية) هى الآفة الأولى فى إسرائيل، والكامنة فى البنية الأساسية لفكرها واعتقادها الدينى، فإن الآفة الثانية هى (العنف) أو الطبيعة العدوانية، التى تتميز بالقسوة والغلظة والعناد، حتى سمتهم التوراة كتابهم نفسه (الشعب الصلب الرقبة).

---

(١) انظر: التطرف الإسرائيلى جذوره وحصاده ص ٢٨ للسفير طاهر شاش، وانظر كتاب (يهود اليوم ليسوا يهوداً) ترجمة زهدى الفاتح.

وعبر عن ذلك القرآن فخاطبهم بقوله: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٤].

وفى موضع آخر بين القرآن أن هذه القسوة كانت عقوبة من الله لهم على نقضهم لما عهد به إليهم من مواثيق، فقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ [المائدة: ١٣] والمصادر الدينية لإسرائيل من شأنها أن تصنع هذه الطبيعة العدوانية، التى لا تبالى فى سبيل تحقيق أهدافها بما تسفك من دماء، وما تنتهك من حرمات، وما تخرب من ديار، وما تهدر من أموال، واعتبار الناس كأنما هم أدوات لخدمة إسرائيل.

وهذا التوجه واضح فى أسفار التوراة الخمسة، وفى أسفار الأنبياء الملحقة بهذه الأسفار، وبخاصة سفر أشعيا، الذى أعجب به الإسرائيليون، وسموه (النبى المحارب).

وهو أشد وضوحًا فى (التلمود) الذى يرجع إليه اليهود أكثر مما يرجعون إلى التوراة ذاتها، وربما يقدسونه أكثر من تقديس التوراة.

يعبر عن ذلك مناحم بيجين الذى كان أحد أركان العصابات الصهيونية الإجرامية قبل قيام إسرائيل، ورئيسا

لائتلاف الليكود بعد قيام إسرائيل، بكلمته المعبرة فى كتابه (التمرد) : أنا أحارب إذن أنا موجود!.

ومن استقرأ تاريخ إسرائيل حديثا، مع شعب فلسطين خاصة، ومع العرب عامة، يجد هذه الطبيعة ظاهرة غير خافية، ترجمت عنها : المجازر البشرية التى أجبرت بها الشعب الفلسطينى على الخروج من دياره، وتشريده فى آفاق الأرض، وما تقوم به إلى اليوم من أعمال عدوانية تقوم بها الحكومة، ويقوم بها المستوطنون، وما تضمه من أراض فلسطينية - بغيا وعدوا - إلى دولتها، وما تضمه من مستوطنات فى القدس وفى الضفة وفى غزة، وما أشعلوه من مذابح فى صبرا وشاتيلا [1]، وفى مسجد (الخليل) فى فجر رمضان للصائمين الركع السجود، وفى (قانا) بلبنان، وفى قتلى النفق فى (القدس)، وما كشفت عنه الوقائع قبل ذلك من القتل الجماعى للأسرى المصريين وقتل تلامذة بحر البقر فى مصر. وفيما يحدث كل يوم من اعتقال وتعذيب، وعقاب جماعى، وعقاب أسرة الفدائى وهدم بيت أهله، ثم فى محاولة الدولة - بأمر رئيس وزرائها السابق والحالى - قتل الأفراد واغتيالهم

---

(١) قال بعض الدارسين : إن صبرا وشاتيلا أعظم مجازر القرن العشرين، فقد استمر التقتيل والتذبيح فيها (أربعين ساعة) متوالية، وقتل فيها نحو ثلاثة آلاف شخص، وخصوصا من الشيوخ والنساء والولدان.

وتصفيتهم، كما فعل رابين فى قتل فتحى الشقاقى، ويحيى عياش، وكما فعل نتنياهو فى محاولة قتل خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحماس، وفضيحته هو وجهازه الموساد على رؤوس الأشهاد. كل ذلك بمنطق القوة لا بقوة المنطق، فالمنطق الفذ الذى تفهمه إسرائيل هو منطق العنف والإرهاب.

وإنا لنعجب من الشعب الذى طالما شكا من الاضطهاد والعدوان من النازية وغيرها، كيف يضطهد شعبًا بأكمله، ويعتدى على أرضه وسيادته وحرماته، ولا ذنب له إلا تمسكه بوطنه، ودفاعه عن ملكه ؟!.

٣ - التوسعية:

وثالث الآفات الكامنة فى طبيعة إسرائيل، هى: الأحلام أو الأطماع التوسعية.

إنها لا تكتفى بما اغتصبت من أرض، وما نهبت من أملاك الغير، بل هى لا تشبع من غصب، ولا تسأم من نهب، إنها كجهنم، يقال لها: هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟.

إنها لا تزال تحلم بإسرائيل الكبرى: من الفرات إلى النيل.

بل هناك من يقولون: ملكك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل.

من نهر الفرات فى العراق إلى نهر النيل فى مصر.

ومن شجر الأرز فى لبنان إلى شجر النخيل فى المملكة العربية فى المدينة وخيبر، حيث كان يعيش أجدادهم هناك.

وهذا ما قاله رجل منهم بصراحة، هو إسرائيل شاحاك الأستاذ بجامعة تل أبيب، الذى كشف النقاب عما يخبئه الإسرائيليون فى ضمائرهم، وسجله فى كتاب نشر بالإنجليزية، يبين فيه أن إسرائيل التى يحلم بها قومه تمتد إلى أجزاء من سوريا، ولبنان، وتركيا، والعراق، والسعودية، واليمن، والكويت، ومصر إلى الإسكندرية!.

بل هم فى الواقع يريدون السيطرة على العالم، ولكن سياستهم المعهودة هى الوصول إلى الهدف البعيد خطوة خطوة.

قد يقول البعض: إن هذا حلم بعيد المنال، ولا يتصور من إسرائيل أن تركض وراء وهم وسراب، لا يمكن تحقيقه فى أرض الواقع، وهى الآن أعقل من أن تتحدث عن هذه الأحلام.

ونقول: إن قيام إسرائيل نفسها كان حلما، أو خيالا، منذ مائة عام، ثم غدا حقيقة واقعة، وقد لا تتحدث إسرائيل عن ذلك اليوم، لما يجلبه ذلك عليها من مشكلات، فهى تصمت عن ذلك لفترة ما، وفقا لسياسة المراحل.

وكم رفضنا من أشياء، لأنها دون ما نؤمن به من حقوق لنا، مثل قرار التقسيم، ثم بعد ذلك تمنينا لو قبلنا ما كنا رفضنا.

إن إسرائيل تسعى أبدا لتحقيق أهدافها وأحلامها، التى كنا نعتقدها فى وقت ما ضربًا من المحال، ولكنها تحققت، أما أحلامنا نحن، فهى دبر آذانها، وتحت أقدامها.

ولا ينبغى أن ننسى أن هناك قوى كبرى ساعدت - ولا زالت تساعد - إسرائيل على تحقيق ما تريد، ابتداء من بريطانيا العظمى التى وعدت بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين على لسان وزير خارجيتها (بلفور) فى وعده المشهور فى (٢/١١/١٩١٧م)، والذى قيل فيه: من لا يملك، وعد من لا يستحق.

وانتهاء بالولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى والقطب الأوحد فى عالم اليوم، والتى تقف وراء إسرائيل بالمال والسلاح و(الفيتو)! ولولا المال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والفيتو الأمريكى، ما وصلت إسرائيل إلى ما وصلت إليه اليوم.

ومرورًا بالاتحاد السوفيتى الذى قال فى إبان قوته: إن إسرائيل خلقت لتبقى!.

٤ - اللا أخلاقية:

وتعتمد إسرائيل مبدأ (اللا أخلاقية) فى تعاملها مع

العرب والفلسطينيين، ففلسفتها قائمة على أن الأخلاق تتغير، فلا ثبات لها وأنها تتجزأ، فلا عموم لها، فلا غرو أن تتعامل بمعيار مزدوج، معيار مع النفس، ومعيار مع الأغيار، وهذا للأسف ما قررته توراتهم، وسفر التثنية فيها: إن للإسرائيلى أن يقرض بربا مع غير الإسرائيلى، وليس له ذلك مع الإسرائيلى، على خلاف ما قرره الإسلام: أن الحلال حلال للجميع، وأن الحرام حرام على الجميع، ولقد سجل القرآن على هؤلاء استباحتهم لمن عداهم، وعدم تأثمهم فى ذلك دينا، كما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وإسرائيل تقرر كذلك المبدأ الجاهلى: (يحلونه عاما ويحرمونه عاما)، والتحليل والتحريم وفق هواها ومنافعها الخاصة، كما تتبنى الفلسفة الميكافيلية: الغاية تبرر الوسيلة، فكل الوسائل عندها مباحة ومشروعة فى سبيل تحقيق غايات إسرائيل، بغض النظر عن احتجاجات المحتجين، واستنكارات المستنكرين.

والعرب والمسلمون قوم أخلاقيون، فقد علمهم دينهم ضرورة الالتزام بالعنصر الأخلاقى فى كل جوانب الحياة ومعاملاتها، فالعلم لا ينفصل عن الأخلاق، والتشريع لا ينفصل عن الأخلاق، والاقتصاد لا ينفصل عن الأخلاق، والحرب لا تنفصل عن الأخلاق، والسياسة لا تنفصل عن الأخلاق.

ولا يقبل الإسلام بحال مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة، بل يوجب شرف الغاية، وطهر الوسيلة، ولا بد من الوسيلة النظيفة لتحقيق الغاية الشريفة، ولا يرضى الإسلام الوصول إلى الحق بطريق الباطل، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

ولا غرابة أن نرى إسرائيل تحترم العهود والمواثيق إذا كانت فى صالحها، وتضرب بها عرض الحائط إذا خالفت مصالحها، وها هو بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل يسأل عن «اتفاقات أوسلو» وما بعدها - والتى نرفضها نحن أساسا - فيقول بصراحة: أنها قد ماتت!

وهكذا تحقق في هؤلاء ما قاله القرآن في أسلافهم: ﴿ **الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وهم يطبقون ما قاله بعض الساسة الأوربيين من قبل: إن المعاهدات ليست إلا حجة القوى على الضعيف!

إن (الأخلاق) المشروعة فى إسرائيل هى أخلاق العنف والإرهاب والاستحلال، هذا ما تقوم به الدولة، التى لا يزال تسيطر عليها روح رجال العصابات، وما يقوم به المستوطنون، الذين يسندون ظهورهم إلى قوة الدولة وحمايتها. والحق أن إسرائيل التى تصف الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم وأهليهم وحرماتهم بأنهم (إرهابيون) هى فى الواقع (الإرهابى

الأكبر) فى العالم؛ لأنها تأخذ حق غيرها، وأرض غيرها، بالقوة والسلاح والعنف، فهو إرهاب معتد ظالم باغ فى الأرض بغير الحق، وقد بين ذلك كتاب «الإرهاب يؤسس دولة: نموذج إسرائيل» (١).

وهناك مــــواقف وأمثلة لا تحصى تدل على (الاتجاه اللا أخلاقى) عند إسرائيل، لعل أحدثها وآخرها ما قامت به نحو رئيس المكتب السياسى لحماس فى الأردن الأخ المجاهد خالد مشعل، والذى حاولت اغتياله عن طريق جهاز علمى متطور، يسلط على دماغه مادة كيماوية قاتلة، مستخدمة فى ذلك جوازات سفر كندية مزورة، احتجت كندا عليها، كما لم تبال أن تقوم بذلك على أرض الأردن الذى عقدت معه معاهدة سلام، ولولا رعاية الله وحمايته، ثم تنبه الأخ خالد، ويقظة مرافقه، لذهب ضحية الغدر، دون أن يدرى أحد أنه قد اغتيل عمداً. هذا هو الإرهاب الذى تمارسه إسرائيل من قديم، ولا زالت.

وها هو اليوم آريل شارون - وزير البنى التحتية فى إسرائيل - يعلن فى جرأة ووقاحة عارية: أن محاولة قتل خالد مشعل، إذا كانت قد فشلت فى المرة السابقة، فإنها ستتكرر وتتكرر، حتى تتحقق. هكذا قال الإرهابى العريق، ولم يبال بأحد. وإذا لم تستح فاصنع ما شئت!.

---

(١) تأليف د. هيثم الكيلانى.

أما الفلسطينيون فإرهابهم - إن صحت تسميته بذلك - إرهاب مشروع، مستجيب لقول القرآن: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فهو إرهاب للدفاع والمقاومة لا لاستباحة الحرمات!

واللا أخلاقية عند اليهود ليست شيئًا عارضًا في سلوكهم، بل هي أصيلة عميقة الجذور، ضاربة في أغوار تاريخهم من قديم، حتى عند أنبيائهم كما تحكي كتبهم المقدسة نفسها.

فقد جاء في العهد القديم على لسان كتبته: أن يعقوب وأمه خدعا إسحاق حتى يحصلا على بركته ليعقوب بدلا عن عيسى أخيه الأكبر ... وأن راحيل زوجة يعقوب سرقت من أبيها لأبان - خال يعقوب - أصنامه حين رحيلهما عنه.

وجاء قبل ذلك - في سفر التكوين أيضًا - أن ابنتي لوط عاشرتاه بعد أن أسكرتاه. وأنجبتا منه المؤبيين والعمونيين .. فهم أولاد زنى.

وجاء في سفر يشوع عن سقوط أريحا على يد بني إسرائيل: دمروا المدينة .. وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ .. حتى البقر والغنم والحمير.

ثم جاء في سفر صموئيل الأول: أنا الذي أرسلني الرب

لأنصبك ملكا على إسرائيل .. فاذهب الآن، وهاجم عماليق .. ولا تبق على أحد منهم .. بل اقتلهم جميعًا .. رجالاً ونساء وأطفالا ورضعا .. بقرًا وغنمًا وجمالاً وحميرًا.

ثم جاء فى نفس السفر: أن الملك شاول طلب من داود مهرًا لابنته مائة غلفة من غلف الفلسطينيين ... فراق داود الأمر .. وقتلٍ مائتى رجل من الفلسطينيين .. وأتى بغلفهم كاملة .. مهرا لمصاهرة الملك.

وفى نفس السفر أيضًا: انقلب داود على الملك شاول، وانضم إلى الفلسطينيين فى حربهم ضد الملك الإسرائيلى .. ولكن رفض الفلسطينيون انضمام داود لجيشهم .. فتوسل داود لملكهم أخيش قائلا: ماذا جنيت؟ وأى علة وجدت فى عبدك حتى لا أشترك فى محاربة أعداء الملك؟.

وفى سفر صموئيل الثانى: اغتصب أمنون أخته ثامار - وهما ابنا داود - ثم عاشر أبشالوم بن داود محظيات أبيه، وحارب أبشالوم أباه داود طمعًا فى الملك، وقتل الابن فى القتال.

وفى سفر الملوك .. جاء عن سليمان أنه عبد عشتاروت إلهة الصيدونيين .. وملكوم إله العمونيين .. وأقام مرتفعات ذبائح لجميع آلهة نسائه الغربيات [1]!.

---

(١) من مقدمة كتاب (تاريخ اليهود) لأحمد عثمان، نشر مكتبة الشروق.

هذا ما قالته أسفارهم المقدسة، ولم نقله نحن!

ولا غرو قال المسيح عليه السلام: لكم الويل أيها الكتبة المراؤون، أيها الحيات أولاد الأفاعى، أبناء قتلة الأنبياء، كيف تفلتون من عقاب جهنم؟!..

٥ - الشح وعبادة المال:

ومن الآفات الخلقية الملازمة للطبيعة الإسرائيلية: عبادة المال، والشح به، والحرص عليه، وقديمًا عبدوا العجل الذهبى، وهو يشير إلى مدى تعلقهم بالذهب وبريقه. وقد وصفهم القرآن بالبخل وسجله عليهم فى قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا** ﴾ [النساء: ٥٣].

يقول العلامة رشيد رضا رحمه الله فى تفسير هذا الآية فى المنار:

﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ** ﴾ قالوا إن ﴿ **أَمْ** ﴾ هنا منقطعة، وهى عند جمهور البصريين للاضراب والاستفهام، والمراد بالإضراب هنا: الانتقال من توبيخهم على الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين، إلى توبيخهم على البخل والشح والأثرة. واختار الأستاذ الإمام أن ﴿ **أَمْ** ﴾ إذا وقعت فى أول الكلام تكون للاستفهام المجرد، والاستفهام هنا للإنكار، والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام، أى ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب، بل

فقدوا الملك كله بظلمهم وطغياتهم ﴿ **فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاس نَقِيرًا** ﴾ أى ولو كان لهم نصيب من الملك لسلكوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه فى أنفسهم، فلا يعطون الناس نقيرًا منه إذ ذاك. والنقير هو النقرة أو النكتة فى ظهر نواة التمر، وهى الثقبة التى تنبت منها النخلة، شبهت بما نقر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذى تحفر به الأرض الصلبة والنقير كالفتيل فى الآية السابقة: ﴿ **وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء: ٤٩]، يضرب به المثل فى الشئ القليل والحقير والتافه. وكذلك يضرب المثل بالقطمير، وهى القشرة الدقيقة التى على النواة بينها وبين التمرة.

وحاصل المعنى: أن هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة، وشح مطاع، يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبى من العرب، ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل. هذه الصفة لا تزال غالبة على اليهود ظاهرة فيهم فإن تم لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وما حوله، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأرض المقدسة، ولا يعطونهم منها نقيرًا من نواة، أو موضع زرع نخلة، أو نقرة فى أرض أو جبل، وهم يحاولون الآن - وحاولوا قبل الآن - ذلك بقطع أسباب الرزق عن غيرهم. فالنجار اليهودى فى بيت المقدس

يعمل لك العمل بأجرة أقل من الأجرة التى يرضى بها المسلم أو النصرانى، وإن كانت أقل من أجرة المثل، ولعل جمعياتهم السياسية والخيرية تساعدهم على ذلك، فالدلائل متوفرة على أن القوم يحاولون امتلاك الأرض المقدسة، وحرمان غيرهم من جميع أسباب الرزق فيها، يفعلون هذا وليس لهم نصيب من الملك « هذا وما كيف لو ».

وهل يعود إليهم الملك كما يبغون؟ الآية لا تثبت ذلك ولا تنفيه، وإنما تبين ما تقتضيه طباعهم فيه لو حصل، وسيأتى البحث فى ذلك فى تفسير سورة الإسراء التى تسمى أيضا (سورة بنى إسرائيل) ويدخل فى ذلك ما تقتضيه من الكثرة وهم متفرقون ومتعلقون بأموالهم فى كل المماليك، ومن الاستعداد للحرب والزراعة، وقد ضعف ذلك فى أكثرهم، ولكنهم يعتقدون اعتقاداً دينيا أنهم سيقيمون الملك أو سوف يقيمونه فى البلاد المقدسة، وقد ادخروا لذلك مالا كثيراً، فيجب على العثمانيين أن لا يمكنوا لهم فى فلسطين، ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها، وكثرة المهاجرة إليها، فإن فى ذلك خطراً كبيراً كما نبهنا فى تفسير الآية السابقة من عهد قريب [١] أ.هـ. كتب هذا الشيخ رشيد رضا فى تفسيره الذى كان يصدر به (مجلة المنار) وكان ذلك فى ج ١١ - المجلد

---

(١) تفسير المنار ج٥/١٥٩، ١٦٠.

الثالث عشر - الجمعة ٣٠ ذو القعدة ١٣٢٨ هـ - ٢ ديسمبر ١٩١٠م. أى منذ ما يقرب من ٩٠ عاما.

الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار:

هذه الآفات النفسية، والعاهات الخلقية، والأمراض السلوكية، التى تجسمت فى الشخصية اليهودية التلمودية - ولا سيما بعد ظهور الحركة الصهيونية وتوجهاتها الخطيرة - أفرزت العصابات الإرهابية اليهودية فى عهد الانتداب البريطانى، وقبل قيام إسرائيل فى ١٥/٥/١٩٤٨م وأفرزت المجازر البشرية، والهجمات العدوانية، والأساليب الشيطانية، التى قامت عليها سياسة إسرائيل فى سلمها وحربها مع الفلسطينيين ومع العرب والمسلمين.

أفرزت هذه الآفات شر أنواع الاستعمار فى التاريخ، وهو الاستعمار الصهيونى، الذى قال فيه من قال: الصهيونية هى أعلى مراحل الاستعمار.

وذلك لما تميز به الاستعمار الصهيونى اللعين عن أنواع الاستعمار الأخرى، التى عرفها العالم قديما وحديثا، والتى أشار القرآن إلى آثاره على لسان ملكة سبأ حين قال: ﴿ **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: ٣٤]، أشارت إلى دخول الملوك فاتحين مستعمرين، فهم يفسدون البلاد، ويذلون العباد.

وفى العصور الحديثة عرف الناس الاستعمار البريطانى

والفرنسى والإيطالى والهولندى وغيرها، وكلها شر على من استعمروهم.

ولكن الاستعمار الصهيونى أشد وأنكى، فهو، كما يقول أخونا. د. حسان حتحوت [١]: استعمار إحلالى توسعى عنصرى إرهابى ظالم.

١ - استعمار إحلالى:

أى هو استعمار استيطانى، يريد تفريغ البلاد من أهلها ليحل هو محلهم ما استطاع. ويزعجه أن يرى معدل المواليد العرب أعلى منه لدى اليهود بما فى ذلك من تهويد ديموجرافى .. وليس مثل الصليبيين يملك وطنا آخر يستطيع أن يعود إليه فلا نية لديه إلا البقاء. وهو لا يحاول التخلص من العرب بالتهجير أو الاضطرار إليه أو هدم البيوت أو تغيير الجغرافيا فقط، بل بجلب مزيد من اليهود من أنحاء العالم ليحلوا محل العمالة الفلسطينية، وهى الخط الحيوى الباقى للفلسطينيين. وقد صرح بهذا ساستهم ومفكروهم، مثل البروفسور «بن زيون دينور» الذى أعلن أن ليس فى بلادنا متسع لشعبين.

ومثل «يورى لبرانى» (مستشار بيجن للشؤون العربية) الذى قال: سنختزل الجالية العربية إلى طائفة من الحطابين وجرسونات المطاعم! ومثل «شيب الداود» الذى قال: إما

---

(١) انظر: فصل (فلسطين) فى كتابه القيم (بهذا ألقى الله: رسالة إلى العقل العربى المسلم) ص ١٩٥، ١٩٦.

« إسرائيل الكبرى » وإما « إسماعيل الكبرى » . (يعنى بإسماعيل الكبرى : الدولة العربية التى تجمع العرب تحت راية واحدة، وهذا يعنى : انتهاء إسرائيل) .

٢ - استعمار توسعى :

وهو ثانيا استعمار توسعي . ما زالت خريطة من النيل إلى الفرات فى الكنيسيت . والخطان الأزرقان فى أعلى وأسفل العلم اليهودى يرمزان للنيل والفرات وسئلت « جوولدا مائير » عن حدود دولة إسرائيل كما تراها فقالت : عندما نصل إلى الحدود سنخبركم . وصرح « بن جوريون » بأن الدولة اليهودية تطمح أن تشمل حدودها جنوب لبنان وجنوب سوريا والأردن وشبه جزيرة سيناء . (ولهذا لم يضم اتفاق « أوسلو » شيئًا عن « الحدود » وستظل سرًّا عند قادة إسرائيل، لا يفصحون عنه، إلا عندما تتحقق الأحلام) .

٣ - استعمار عنصرى :

وهو استعمار عنصرى . وفى تصريح سابق « لرفائيل ايتان » الذى كان رئيس الأركان قال : إن من يتهم البيض فى جنوب إفريقيا بالعنصرية كذاب .. السود هناك هم الذين يريدون التحكم فى الأقلية البيضاء، تماما مثلما يريد العرب أن يتحكموا فينا . وعندما صوتت الدول الإفريقية بجانب قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية فى عام ١٩٧٥ (القرار الذى تم لحسه فيما بعد)، كان تعليق « بيجن » : كيف تحسب

الشعوب التى كانت إلى عهد قريب تعيش فوق الأشجار أنها أصبحت تقود العالم؟.

بل إن العنصرية قائمة فى اليهود بين بعضهم والبعض. «الأشكينازى» وهو اليهود الأوربى الأبيض يرى نفسه أرقى من (السيفارديم). وبينما يشكل السيفارديم سبعين بالمائة من اليهود، فقد رسم نظام للتعليم والمصروفات الدراسية بحيث لم يسمح لهم بأكثر من ستة بالمائة فى الجامعات وثلاث بالمائة عند التخرج.

أما اليهود الأحباش الذين طنطنوا بهم فحثالة المجتمع، لدرجة أنه عند التبرع بالدم تنتقى زجاجات دم اليهود الأحباش فتراق، ويرمى بالدم حتى لا يستعمل، وعندما اكتشفت هذه الفضيحة أحدث مرارة كبيرة لدى الأحباشِ، وإحساسا بالاضطهاد والتفرقة العنصرية «تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى» بل إن اليهود الأرثوذكس أصدروا من قريب فتوى بأن المحافظين واليهود الإصلاحيين ليسوا يهوداً.

٤ - استعمار ظالم:

وأما استعمار ظالم، فبديهية لا تحتاج إلى تدليل. لكن نحب أن يشهد شاهد من أهلها. فالأستاذ «جودا ماجنس» أول رئيس للجامعة العبرية يقول: إن لليهود أكثر من حق فى مطالبة العالم بالعدالة، ولكننى على غير استعداد للحصول على العدل لليهود عن طريق الظلم للعرب. ويقول البروفسور «بنيامين كوهين» الأستاذ بجامعة تل أبيب: لقد كان اليهود

على الدوام ضحايا القسوة فكيف جاز لهم أن يكونوا على هذه القسوة. وهنالك الكثيرون منهم يرون هذا الرأي. وفى أمريكا حركتان يهوديتان كبيرتان اسمهما «السلام الآن» و«الأرض مقابل السلام»، وينكرون الظلم الواقع على الفلسطينيين ويرون إعطاءهم وطنا والعيش معهم فى حسن جوار. ومثلهم عدد ضخم من اليهود داخل فلسطين.

٥ - استعمار إرهابى:

وهو كذلك استعمار إرهابى، فهذا أشد وضوحًا، فالإرهاب لحمته وسداه، الإرهاب هو الذى مهد لقيام الدولة منذ عهد العصابات المعروفة: الهاجاناة، والأرجون، والاسترن، التى اقترفت الفظائع.

والإرهاب هو الذى أسس الدولة، وأقامها بالحديد والنار، فقتل النساء والأطفال والشيوخ بطرق وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا، حتى كانوا يراهنون على ما فى بطون الحوامل: أذكر هو أم أنثى؟ ثم يبقرون بطنها - وهم يتضاحكون، ليروا من الفائز منهم؟ ثم يذبحون الأم والطفل معا!.

والإرهاب هو الذى وسع الدولة؟ بأكثر مما أعطاهم قرار التقسيم، ثم ضم إليها ما ضم فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م.

والإرهاب هو الذى يهدد الجيران من العرب، أن يملكوا أى قوة نووية أو غير نووية، يجب أن يملكوا هم القوة

وحدهم، ولهذا ضربوا من قديم المفاعل النووى العراقى، بل هم يقتلون الشبان النوابغ من العرب فى المجال النووى، كما دل على ذلك أكثر من حادثة. بل هو يهدد المسلمين جميعاً، إذا حاولوا ذلك، كما نرى فى الموقف من محاولة باكستان امتلاك قنبلة نووية، كما فعلت جارتها وغريمتها الهند.

والإرهاب هو الذى يقتل - بيد الدولة وأجهزتها وبأمر رؤسائها وقادتها - أبطال المقاومة الذين يدافعون عن أرضهم ومقدسالتهم وأهليهم، كما رأينا فى اغتيال الشقاقى وعياش والشريف، ومحاولة اغتيال مشعل.

الإرهاب الصهيونى هو الذى قتل - من قديم - المصلين فى مسجد يافا، وهو الذى صنع مجزرة دير ياسين،وهو الذى قتل أطفال مدرسة (بحر البقر) فى مصر، وهو الذى قتل المصلين بعد ذلك فى مسجد الخليل فى فجر رمضان، وهو الذى قتل من قتل فى النفق، وقتل من قتل فى (قانا) بلبنان، وقتل أخيرا العمال البرآء بالقرب من حاجز (ترقوميا) بمنطقة الخليل، ولا زال يقتل ويقتل ولا تزال يده مغموسة بدماء الأبرار.

والعجب أن يفعل الإرهاب الصهيونى ذلك كله، ويدعى أننا نحن الإرهابيون، أما هو فبرئ من كل تهمة، براءة أخوة يوسف من إلقائه فى الجب!.

* * *

الصهيونية خطر على العالم كله

والحقيقة التي يجب التنبيه عليها: أن اليهودية الصهيونية التي نتعامل معها اليوم، ليست خطرًا على المسلمين أو العرب وحدهم، بل هي خطر على العالم كله، وعلى البشرية كلها بما تحمل من روح التعصب، وما تحمل من أفكار هدامة، معادية لكل الديانات، وخصوصًا السماوية منها، ومعادية لكل الشعوب. هذه الأفكار التي غذتها التعاليم التلمودية الخطرة، إنها خطر على المسيحية كما هي خطر على الإسلام، ولننظر في رأى كل من اليهود في المسيحية، والمسيحيين في اليهودية، ليتضح لنا ذلك.

ماذا تقول اليهودية في المسيحية؟:

ينقل لنا الأستاذ محمد السماك في كتابه (الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي) [1] هذه النصوص:

(يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زورًا للإيقاع بالمسيحي، فاسم الرب لا يدنس ولا يحلف به، حين نكذب على المسيحيين) [2].

---

(١) ص ٧ – ١١ نشر مركز دارسات العالم العربي.

(٢) BABA KAMA . ١١٣ a . ١١٣ b.

(يجب على اليهود السعى الدائم لغش المسيحيين) [١].

(من يفعل خيراً للمسيحيين، فلن يقوم قبره قط) [٢].

(.. والآن دعونا نوضح لكم كيف مضينا فى سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها « كهنتها الداخليين » ليكونوا رواداً فى حركتنا، ويعملون من أجلنا.

أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول فى جسم الكاثوليكية، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخلية، ونكون بذلك عملنا بنصيحة أمير اليهود، الذى أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم. ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكولة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مهماتهم بشرف وأمانة.

نحن آباء جميع الثورات التى قامت فى العالم، حتى تلك التى انقلبت علينا أحيانا، ونحن أيضا سادة الحرب والسلام، بدون منازع. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن

---

(١) ZIHARI . ١٦٠ b.

(٢) ZOHARI . ١٢٥ b.

الذين خلقنا حركة الإصلاح الدينى للمسيحية، فكالفين كان واحداً من أولادنا، يهودى الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودى، فنفذ مخطط الإصلاح الدينى، كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم.

ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظمهم - وهم يخلصون الإيمان لدينهم - لا يعون مدى إخلاصهم لنا، إننا جد ممتنين للعون القيم الذى قدموه لنا فى حربنا ضد معاقل المسيحية، استعدادا لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم.

حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة فى معظم ممالك أوربا، والبقية آتية لا ريب عما قريب. فروسيا شرعت فى تمهيد الطريق لمسيرتنا، فرنسا بحكومتها الماسونية تحت إصبعنا. إنجلترا باعتمادها على تمويلنا تحت قدمنا، ولكونها بروتستانتية فهى معولنا فى القضاء على الكنيسة الكاثوليكية. أما إسبانيا والمكسيك فهما دميتان بأيدينا، وثمة دول عديدة، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية، واقعة فى شراكنا.

إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا، فلنغذ عن طريقها - بقوة وفعالية أكثر - الحقد العالى على الكنيسة الكاثوليكية.

ولنمض، لدعم وتقوية مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح الثورة بين الجماهير، نشجعها على احتقار الوطنية، وازدراء وحدة العائلة والارتباط بمحبتها، واعتبار الدين، أى دين، هراء ومضيعة للوقت، وقضية سبقها العصر، ولم تعد تتماشى مع متطلباته ثم أخيرا، لنتذكر دائما أن ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم، قبل خلع البابا عن كرسيه فى روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم»[١].

وماذا تقول المسيحية فى اليهودية؟:

أما ماذا تقول المسيحية فى اليهودية، فهاك بعضه موثقا.

لنقرأ هذه النصوص التى سجلها الأستاذ السماك:

«يعتبر اليهود خطرًا على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية»[٢].

«إن القوى ذاتها التى «صلبت المسيح» طيلة (١٩٠٠) سنة، تسعى اليوم إلى «صلب» كنيسته، لقد فرض على المسيحية، فى عصرنا الراهن، نضال عظيم، نهايته ستحدد مصير المسيحية، حياة أو موتا، لكن معظم القادة المسيحيين لم يعوا ذلك بعد، إن الشيوعية – اليهودية العالمية – التى

---

(١) من الخطابات التى ألقيت فى مؤتمر مجمع بناى بريث فى باريس، نقلا عن مجلة كاثوليك ازيت – عدد شباط – فبراير – ١٩٣٦م.
(٢) مجلة سيفيلتا كاثوليكا – الفاتيكان.

نجحت فى إذلال شعوب الأرض، تترقب الفرصة المواتية الآن لسحق المسيحية سحقًا كاملا » [١].

« كل ما أتى به المسيح، بوحى من الرب، لا يعنى أى شئ عند اليهود! لقد أضنانى البحث الطويل عبثا فى معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئًا من شعور إنسانى نبيل نحو المسيح .. وأنا أعترف بأننى، أن أفعل ذلك، لم أكن أتوقع إطلاقا أن أجد شيئًا عن احترام المسيح بين صفحات هذه الكتب، لكننى عرفت أن اليهودى الذى ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فورا، ويغدو غير يهودى بالمرة.

ففيما نجد فى قرآن محمد أفكارًا تعبر عن الاهتمام بالمسيح والاحترام العميق لشخصه [٢]، نقرأ ليهودى فى القرن التاسع عشر « غرايتيس » من المفروض أنه من المثقفين، وصفه للمسيح بقوله: إنه « المولود الدجيد المقتنع بالموت » .. أما عن فكرة الصليب فيقول عنه: « إن اليهود ليسوا فى حاجة إلى مثل هذا الرمز الذى يولد شعورًا متشنجًا .. من أجل رفع مستوى عقائدهم الروحية »، بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك

---

(١) الكاهن يرالدب، وينرود، انقضاض اليهودية على المسيحية ص ٦.

(٢) فى القرآن سورة عن أسرة المسيح تسمى (آل عمران)، وأخرى عن أمه (سورة مريم) وثالثة تسمى (المائدة) عن معجزة لم يتحدث عنها الإنجيل، وعشرات الآيات فى سور شتى تتحدث عن المسيح عليه السلام وكتابه ودعوته إلى التوحيد.

بكثير، ففى كتاب أصدره سنة (١٨٨٠م) يهودى أسبانى، وهو موسى دوليون، يصف المسيح بأنه « كلب ميت »، وأنه « مدفون فى كومة روث »!.

فى أواخر القرن التاسع عشر، راح اليهودى يصدرون طبعات بالعبرية يوضحون فيها « الفقرات السرية » من التلمود، كى لا يثيروا حقدنا عليهم، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التى اصطلحوا على تسمية المسيح بها، مثل : المجنون، الساحر، النجس، الكلب، ابن الحرام، الوثنى، ابن الشهوة .. إلخ، إلى جانب مسمياتهم لأمه العذراء الطاهرة » [١].

« يتضمن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة » [٢] أ.هـ.

وقد رأينا كبار الأدباء العالميين يحذرون من الشخصية اليهودية المصاصة للدماء، كما فى مسرحية « شكسبير » الشهيرة « تاجر البندقية ».

وكذلك رأينا موقف الأديب والقصاص الروسى الكبير « فيودورا يستوفسكى » من المسألة اليهودية، كما نشر فى رسالة ترجمها موفق الديلمى [٣].

---

(١) هيوستن ستيوارت تشامبرلين، أسس القرن التاسع عشر، المجلد الأول ص ٣٣٧.

(٢) إعلان البابا جريجورى التاسع فى العام ١٢٤٢.

(٣) ونشرتها دار ابن رشد للطباعة والنشر.

إن بنى إسرائيل حرفوا أو بدلوا كلام الله فى التوراة، فزادوا ونقصوا، ثم حرفوه مرة أخرى، ففسروه بحسب أهوائهم، وأخضعوه لمطامعهم الدنيوية، وأغراضهم العنصرية، وهذا ما سجله عليهم القرآن الكريم: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ...** ﴾ [المائدة: ١٣].

إنهم يزعمون أنهم أمة (الكتاب المقدس)، ولكن أين هو الكتاب المقدس الذى أنزله الله تعالى على موسى نوراً وهدى للناس؟.

وحتى الكتاب القائم الآن - على ما به من تحريف وتبديل - لا يأخذون منه إلا ما يحقق مآربهم، ويوافق أغراضهم. فهم - كما وصفهم القرآن - يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

إن الكتاب يقول: «أحب الله من كل نفسك، وكل قلبك» ولكنهم لا يحبون إلا أنفسهم ومصالحهم ولا يعرفون من الكتاب إلا ما حشاه به أجدادهم من فقرات العنف والقسوة والتذبيح والتقتيل، واستباحة كل من عاداهم من الأمم والشعوب، وخصوصا شعب كنعان!.

لا يعرفون منه إلا ما احتواه من التفرقة العنصرية التى تجعل من بنى إسرائيل، شعب الله المختار، وتجعل غيرهم أدنى درجة منهم، بل تجعل بعضهم عبيداً لهم إلى الأبد.

فمن ذلك : أن الإسرائيليين يحرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم، على حين أنه مباح للإسرائيليين، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى ، وخاصة شعب كنعان، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن « يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف » فلا يبقوا على أحد منهم ، ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها، ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع أو « ينهبوه نهبا » حسب تعبير أسفارهم (التثنية : ٢٠ / ١٣، ١٤).

بل إن أسفارهم تقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الأزل ، أن يكون رقيقًا لبنى إسرائيل ، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله [١] .

وإذا كان هذا فى أسفار التوراة. فكيف بما حواه التلمود، الذى يجعل غير اليهود (الغوييم) أحط من البهائم وأذل من الكلاب ؟!.

---

(١) انظر : الأسفار المقدمة للأديان السابقة على الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٣١ - ٣٣ .

وللمسيحيين العرب موقفهم من إسرائيل والصهيونية، وهو موقف يدين الطغيان الإسرائيلى، وينكر بغيه فى الأرض بغير الحق.

وقد شاركت فى مؤتمر فى بيروت جمع بين المسلمين والمسيحيين العرب. وقد انعقد تحت شعار: «مسلمون ومسيحيون معا من أجل القدس».

ولقد استمعت فيه إلى كلمات قوية معبرة من عدد من الآباء المسيحيين، منهم الأب المعروف (كابوتجى) مطران القدس الذى طرده الإسرائيليون منها وبابا الإسكندرية الأنبا شنودة زعيم الكنيسة القبطية فى مصر، الذى تكلم فأجاد، وآخرون تكلموا فأحسنوا.

ومنهم من كتب عن الصهيونية كتبا لها قيمتها العلمية والدينية.

اقرأ ما يقوله الأب بولس حنا مسعد فى كتابه (همجية التعاليم الصهيونية) [١].

«للنصرانى إنجيل يبشر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلى فله كتابان: كتاب معروف لا يعمل به، وهو التوراة، وآخر مجهول عند العالم،

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية ص ١٠ نشر المكتب الإسلامى فى بيروت.

يدعى (التلمود) يفضله على الأول ويدرسه خفية ، وهو أساس كل مصيبة ! » .

لقد بينا أن العنصرية لدى اليهود جزء لا يتجزأ من كيانهم النفسى، وإن العالم مقسم إلى (يهود وأغيار) واليهود هم الأخيار، والأغيار هم الأشرار، وإن استباحة حرمات الآخرين أو (الأغيار) جزء لا يتجزأ من تراثهم الدينى .

إن الله ذاته - تعالى وشأنه - عندهم عنصرى ! يقول الأب بولس حنا : (إن النصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع ، والمسلمون يؤمنون بأن الله رب العالمين ، أما الصهيونيون فلا يريدون أن يكون الإله إلا لهم وحدهم ، ولهذا عرف عندهم أنه (إله إسرائيل) [١] .

الرئيس فرانكلين يحذر من اليهود :

ومن السياسيين الذين أدركوا ببصيرتهم النافذة خطر اليهود على مجتمعاتهم : الرئيس الأمريكى فرانكلين .

ففى القرن الثامن عشر وعلى التحديد فى عام(١٧٨٩م) أصدر بنجامين فرانكلين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وثيقة رسمية لتحذير الأمريكان من اليهود، وقد ألقاها فى خطاب رسمى عند وضع دستور الولايات

---

(١) المصدر السابق .

المتحدة جاء فيها: « هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو خطر اليهود ، وفى كل أرض حل فيها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى ، وأفسدوا الذمة التجارية، وهم منعزلون لا يندمجون مع غيرهم ،وهم منذ أكثر من (١٧٠٠) عام يندبون حظهم، لأنهم طردوا من ديار آبائهم، ولو ردت إليهم فلسطين فلن يذهبوا جميعهم إليها، لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض، ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، وإذا لم يبعد هؤلاء اليهود عن الولايات المتحدة بنص دستورها، فإن سيلهم سيتدفق إليها فى غضون مائة سنة، وسيتمكنون من أن يحكموا شعبنا ويدمروه، ويغيروا شكل الحكم الذى بذلنا فى سبيله دماءنا، وضحينا له بأزواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا، ولن تمر مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا العمل فى الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود مسيطرين على المؤسسات المالية ، وإذا لم يبعد الشعب الأمريكى اليهود نهائيا، فسوف يلعنهم أبناؤهم وأحفادهم فى قبورهم، كما أن اليهود لن يمارسوا المثل الأمريكية العليا، ولو عاشوا بين الأمريكيين عشرة أجيال، لأن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط. إن اليهود خطر على أمريكا إذا سمح لهم بحرية الدخول ، وسيقضون على المؤسسات الأمريكية، وعليه يجب استبعادهم بنص الدستور.

إن ما جاء فى هذا الخطاب فى القرن الثامن عشر ينطبق تمام الانطباق على اليهود فى هذه الأيام ، فقد سيطروا على اقتصاد أمريكا وسياسة أمريكا ، وقد حل بالشعب الأمريكي ما تنبأ به الزعيم الراحل بنجامين فرانكلين [١] .

وما تخبئه الأيام لأمريكا من كيد اليهود أعظم وأعظم، وكما قال الشاعر العربى قديما :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود !

أو كما قال الشاعر الآخر :

أمرتهمو أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبنوا النصح إلا ضحى الغد !

* * *

---

(١) انظر : « القدس الشريف » تأليف المهندس رائف يوسف نجم ص ٣١ ، ٣٢ .

أمريكا وإسرائيل

إن إسرائيل لم تقم على أى حق أو منطق، من الدين أو الخلق أو التاريخ، أو الشرعية، فهى دخيلة على المنطقة، غريبة عنها، وإنما فرضت نفسها، بالعنف والدم والحديد والنار، مستغلة ضعف العرب والمسلمين، وتفرقهم، ومستندة إلى قوة الاستعمار ومساندته، ولا سيما أن دول الاستعمار تدين بالمسيحية التى تؤمن بما فى كتب اليهود وأسفارهم على ما فيها من تحريف وتناقض.

فالغرب فى الحقيقة هو صانع إسرائيل، وممدها بالمال والسلاح، كما فى غرب أوروبا وأمريكا، أو بالرجال كما فى الاتحاد السوفييتى وشرق أوروبا .

ولولا المليارات الدائمة والمستمرة من الغرب، ولولا المساعدات المالية الأمريكية، والمعونات العسكرية الأمريكية، والتأييدات السياسية الأمريكية، المتمثلة أوضح ما تكون فى الفيتو الأمريكى، ما قامت إسرائيل، ولا استمرت بعد قيامها.

وآخر ما شاهدناه فى هذه المسرحية المأساة أو الملهاة هو موقف أمريكا من نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، وتخصيص (١٠٠) مائة مليون دولار لذلك، وتعليل البرلمان الأمريكى ذلك بعلل واهية مردودة، نقدها الصحفى المعروف أحمد يوسف القرعى فى صحيفة « الأهرام » القاهرية، فقال :

لم يكن قرار مجلس النواب الأمريكى الصادر فى (١٠

يونيو) الماضى إلا مجرد إجراء تشريعى ضمن إجراءات أخرى فى برنامج زمنى محدد لعملية تمويل بناء السفارة ونقلها . وقد أورد قانون الكونجرس خطوات هذا البرنامج مشفوعة بعدد من المزاعم والادعاءات التاريخية والقانونية والسياسية بشأن عروبة القدس، ويعجب المرء كيف يجرؤ مجلس تشريعى لدولة كبرى أن يسجل فى متن قوانينه مثل هذه الافتراءات .

وبعد المغالطة التاريخية التى وقع فى شراكها الكونجرس الأول فى الفقرة الأولى من الديباجة بشأن حق إسرائيل فى اختيار عاصمتها، بالرغم من أن القدس أرض محتلة وتخضع لقانون الحرب .

وبعد ما أكد الكونجرس جهله بالتاريخ فى الفقرتين الثانية والثالثة عندما زعم أنه ومنذ عام (١٩٥٠م) كانت مدينة القدس - ولا تزال - عاصمة لدولة إسرائيل دون أن يحدد أية قدس مقصودة .

بعد هذا وذاك يفاجئنا قانون الكونجرس فى الفقرات التالية (من ٤ إلى ٨) من الديباجة بادعاءات دينية باطلة من الأفضل تذكير القارىء بها :

٤ - أن مدينة القدس هى المركز الروحى لليهودية ، وتعتبر أيضا مدينة لكل معتنقى الأديان ! .

٥ - أنه منذ عام (١٩٤٨ م) وحتى عام (١٩٦٧ م) كانت تحت القدس مدينة مقسمة ، وكان المواطنون

الإسرائيليون من كل المعتقدات ، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كل الدول لا يسمح لهم بالدخول إلى الأماكن المقدسة ، التى كانت تحت سيطرة الأردن .

٦ - أنه ومنذ عام (١٩٦٧ م) تمت إعادة توحيد مدينة القدس أثناء صراع ما عرف بحرب الأيام الستة ! .

٧ - أنه ومنذ عام (١٩٦٧ م) كانت القدس - ولا تزال - مدينة موحدة تديرها إسرائيل التى تكفل الحقوق الكاملة للجميع من الأديان المختلفة ، لدخول الأماكن المقدسة داخل المدينة !

٨ - أن هذا العام (١٩٩٥ م) يعتبر العام الثامن والعشرين على التوالى الذى يشهد أن القدس كانت - وتزال- تدار كمدينة موحدة وتحترم وتؤمن فيها حرية الجميع من الأديان المختلفة ! .

والكونجرس بمثل هذه الادعاءات والافتراءات جعل من القدس المركز الروحى لليهودية دون سواها من الأديان السماوية، وجعل من إسرائيل دون سواها حامية حمى الأماكن المقدسة، وحامية حريات دخول معتنقى الأديان المختلفة .

ولا شك أن وقائع الاحتلال الإسرائيلي للقدس وطوال ثلاثة عقود (١٩٦٧ - ١٩٩٧ م) كافية للرد على مغالطات الكونجرس التى أوردها وكأنها نتائج مسلم بها .

ونسجل هنا أكثر الوقائع خطورة لكى يدرك أعضاء

الكونجرس كم هم منحازون إلى ادعاءات ومزاعم وأساطير إسرائيل :

وتبدأ أكثر الوقائع خطورة بمحاولة إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى فى (١٢ أغسطس سنة ١٩٦٩ م)، ولم تكن هذه المحاولة إلا بداية مخطط عاجل وآخر آجل ، لهدم المسجد الأقصى، فقد سبق المحاولة بدء الحفريات العميقة تحت المسجد وحوله، بزعم البحث عن آثار هيكل سليمان المندثرة منذ ألفى سنة، وإقامة نفق سياحى، كما سبق المحاولة البدء فى مصادرة وهدم ونسف عقارات الأوقاف الإسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى.

ومما يدل دلالة قاطعة على وجود مخطط عاجل وآخر آجل لهدم المسجد الأقصى هو : تساؤل صحيفة « هارتس » الإسرائيلية فى (٢٨ مارس سنة ١٩٨٢ م) : هل أصبحت مسألة هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة مسألة وقت فقط ؟ وجاء فى مقال الصحيفة : « إن الحكومة الإسرائيلية تختبىء وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق أهدافها فى نسف قبة الصخرة وإقامة الهيكل الثالث على أنقاضها » . طرحت الصحيفة الإسرائيلية هذا التساؤل أثناء حكم الليكود، وأشارت إلى أن مناحم بيجن كان قد وعد المتدينين - لدى تسليمه رئاسة الحكومة الإسرائيلية فى مايو سنة (١٩٧٧م) - بأن يحقق لهم مطلبهم بإقامة الهيكل الثالث على جبل البيت أو الهيكل، وهو الموقع الذى يقوم عليه الحرم القدسى الشريف.

ولم يكن وعد بيجن وعدا شخصيا بقدر ما كان وعدا من كل مؤسسات الحكومة الإسرائيلية، لتهويد القدس وطمس مقدساتها الإسلامية، ومنح المتطرفين اليهود كل فرصة لتدنيس هذه المقدسات. وعلى سبيل المثال يكفى الإشارة إلى الحكم الصادر من محكمة العدل الإسرائيلية العليا بتاريخ (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٩٣ م)، بإعلان الملكية اليهودية على منطقة الحرم القدسى الشريف، وذلك لإفساح المجال أمام اليهود لدخول حرم المسجد ومنع أى أعمال تقوم بها إدارة الأوقاف فى ساحات الحرم القدسى الشريف، من ترميم وزراعة أشجار، وإقامة احتفالات دينية، وكانت جماعة «أمناء جبل الهيكل» أسعد الجماعات اليهودية المتطرفة بحكم المحكمة، إذ أصبحت هذه الحركة المتطرفة هى الوحيدة على الحرم القدسى الشريف.

حدث هذا سنوات حكم حزب العمل الإسرائيلى مما يدل - أيضا - على لعبة توزيع الأدوار فيما بين رؤساء إسرائيل العشرة ابتداء من ابن جوريون وحتى نيتانياهو، الذى استهل حكمه بتشريع عملية نفق المسجد الأقصى، وافتتحه فى (سبتمبر سنة ١٩٩٦ م) مستفزًا بذلك مشاعر العرب والمسلمين، ومتحديا نداءات الرأى العام العالمى لخطورة افتتاح النفق على أساسات المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

تلك مجرد وقائع صارخة من ممارسات إسرائيل العديدة والمتنوعة لانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية وأيضًا المسيحية.

والكونجرس الأمريكي عندما يتناسى كل هذا ، ويكرر ادعاءات ومزاعم إسرائيل في قوانينه وقراراته ، يزج بنفسه – كما قلنا – دون أن يدرى ، فى معركة عقائدية على جبهة إسلامية مسيحية واسعة ، يشهد لها التاريخ أن أعلى مراتب التسامح الدينى قد ازدهرت فى القدس طوال ١٤ قرنا من الزمان ، تحت ظلال السيادة العربية الإسلامية [١] .

لقد كشفت أمريكا القناع عن عداوتها لأمة الإسلام، وحقها التاريخى فى القدس الشريف، كما أعلنت بوضوح ووجه مكشوف عن انحيازها الكامل والسافر لإسرائيل، ودعاوى إسرائيل ، وافتراءات إسرائيل، واعتداءات إسرائيل. فى حين وقفت ضد ليبيا، وضد العراق، وضد باكستان، وضد كل من تسول له نفسه أن يقول لأمريكا: لم؟ دعك من أن يقول: لا !.

فلنعرف ذلك لأمريكا، وليعرف ذلك الذين يعتبرونها – إلى اليوم – البلد الصديق، والذين لا يزالون يعتبرونها راعية السلام.

إنها حقًّا راعية السلام بمعنى واحد محدد ، وهو سلام إسرائيل وحدها من كل مقاومة أو منافسة ، ومن كل سوء يمسها ظاهرا أو باطنا !.

---

(١) الأهرام : ١٠ / ٧ / ١٩٩٧ م ، ص ١٠ ، مقال أحمد يوسف القرعى : القدس وقانون الكونجرس الأمريكى .

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون(*)

منذ كنا طلابا فى المرحلة الابتدائية بالأزهر الشريف ، ونحن مشغولون بقضية المسلمين الأولى ، قضية أرض النبوات والمقدسات، أرض فلسطين.

وكان مما أكد اهتمامى بهذه القضية : أنى انتسبت مبكرًا إلى مدرسة رجل كانت هذه القضية من أكبر شواغله، وفى مقدمة اهتماماته، تلك هى مدرسة حسن البنا الذى كان من الرواد الذين نوروا العقول، وألهبوا العواطف، من أجل فلسطين والمسجد الأقصى.

كنا نسير المظاهرات الصاخبة ، ونلقى الخطب النارية، وننشىء القصائد الحماسية ، لإلهاب المشاعر، وتحريك الشعوب ، وتجنيد القوى والطاقات من أجل فلسطين، وخصوصا فى الثانى من نوفمبر كل عام: ذكرى وعد (بلفور) الذى قيل فيه : من لا يملك وعد من لا يستحق !!

وقد علق على هذا الوعد الحاج أمين الحسينى مفتى

(*) نشرت هذه الكلمة فى الصحف القطرية بعد توقيع (اتفاق أوسلو) المشؤوم.

فلسطين بقوله : إن فلسطين ليست وطنا بغير شعب حتي تستقبل شعباً بغير وطن !!

وحينما فتح باب التطوع سنة ١٩٤٨ م، بادرنا إلى التدريب من جهة، وإلى تعبئة مشاعر الجماهير من جهة أخرى، وذهب من إخواننا وزملائنا إلى أرض المعركة من ذهب، واستشهد من ادخر الله له الشهادة، وسيق إلى المعتقل من كتب الله له الحياة، وشهدنا اندحار الجيوش العربية السبعة أمام عصابات اليهود، بخيانات الخائنين، وتآمر المتآمرين .

إسرائيل المزعومة ! :

وهكذا قدر لجيلنا أن يشهد سلسلة دامية الحلقات من المآسى، فى قضية فلسطين .

شهدنا قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، الذى رفضناه بالإجماع ، لأن أحداً لا يقبل تقسيم داره بينه وبين غاصب ظالم ، ثم تمنينا لو قبلنا ما رفضناه بعد أن جرى ما جرى.

ثم شهدنا قيام دولة (إسرائيل) فى١٥ / ٥ /١٩٤٨، وإخراج مئات الألوف من أبناء فلسطين من ديارهم، وتشريدهم فى الأرض.

شهدنا قيام دولة (إسرائيل) التى ظللنا سنوات عدة نطلق عليها اسم (إسرائيل المزعومة) ثم خجلنا من أنفسنا، حين كانت هذه المزعومة تصول وتجول على كل الجبهات، ولا

نملك نحن إلا الشجب والشكوى إلى مجلس الأمن ! فحذفنا وصف (المزعومة) بعد أن أوشكنا أن نكون نحن (المزعومين) !! .

شهدنا النكبتين الكبيرتين : النكبة الأولى سنة ١٩٤٨، والنكبة الثانية ١٩٦٧، التى احتلت بها إسرائيل ما بقى من فلسطين : الضفة الغربية بما فيها القدس، وغزة، إضافة إلى سيناء والجولان وجنوب لبنان .

فصل جديد فى المأساة :

ولكن قضاء الله لهذه الأمة، أنها لاتموت، وأنها أمة ولود لا تزال تنجب الأبطال، الذين لا يدعون الراية تسقط أبدا، فقامت حركات النضال والجهاد لتحرير الأرض المقدسة، التى بارك الله فيها للعالمين، ابتداء من (فتح) إلى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وقامت (الانتفاضة) التى بهرت العالم، وزلزلت إسرائيل، وما ذلك إلا لأنها انتفاضة إسلامية، كانت منطلقاتها المساجد، وراياتها المصاحف، وشعاراتها : لا إله إلا الله ، والله أكبر ؛ ونشيد أشبالها : خيبر ، خيبر، يا يهود، جيش محمد سوف يعود !! .

ولكن ها نحن اليوم نشهد فصلا جديداً ، لم يكن ليخطر لنا على بال، قلب كل الموازين، ونقض كل القواعد ، وغير كل الثوابت التى أصبحنا وأمسينا عليها نصف قرن من الزمان، ونشَّأنا على ذلك أطفالنا، وربينا عليه شبابنا، فشب

عليه الصغير، وهرم عليه الكبير: أن إسرائيل خطر عسكرى وسياسى ودينى واقتصادى وثقافى، وصنفت فى ذلك مؤلفات، وأنشئت لذلك مراكز ومؤسسات، وعقد له ندوات ومؤتمرات.

وكم بدأنا وأعدنا فى حقنا فى الأرض كل الأرض، وأن العدوان لا يكسب المعتدى شرعية، وما قام على الباطل فهو باطل. الخ. ثم تخاذل المتخاذلون، فإذا هم يرضون بالواقع بعد عدوان ٥ / ٦ / ١٩٦٧م وإذا هم يبنون سياستهم على مجرد إزالة آثار العدوان، والرضا بالعودة إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م أى أن العدوان الجديد كأنما أضفى الشرعية على العدوان القديم! عدوان (١٩٦٧ م) أنسى عدوان (١٩٤٨م).

ثم زاد الطين بلة - كما يقولون - فرضى من رضى بمجرد حكم ذاتى تحت سلطان إسرائيل !!.

ثم انتهى المطاف إلى ما شهدناه اليوم من قبول الدون ، والقرار الهون : من تجزئة الحل ، وإسقاط القدس ، والتنازل عن جزء من دار الإسلام لغاصبيه ، والسكوت عن حق الملايين الثلاثة أو الأربعة فى العودة إلى ديارهم المغصوبة ، ومد يد المصافحة إلى أبطال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغيرها. كل هذا فى مقابل ٢٪ من مجموع أرض فلسطين ، على نحو ما قال العربى قديما : إذا ما لم تكن إبل فمعزى !! .

أنا أعلم أن الشعوب قد تأتى عليها ساعات توقع فيها على هدنة أو صلح وهى كارهة مرغمة ، بعد اندحارها فى حرب لا تملك بعدها إلا التسليم . كما فعلت اليابان بعد ضربها بالقنابل الذرية ، وكما فعلت ألمانيا بعد هزيمة هتلر.

ولكن أن يستسلم الفارس، وهو شاهر سيفه، حامل رمحه، ممتط جواده، وأن يعتبر استسلامه لعدوه مجداً وفتحا يحسب له، ويغبط عليه، ويعد تنازله عن جزء من وطنه مكسبًا، ويطالب الحناجر أن تهتف باسمه، والأيدى أن تصفق له. فهذا ما لم نعهده فى تاريخ الأبطال والفرسان إلا حين يستحيل الفارس إلى دمية، والفرس إلى حمار، والسيف إلى عكاز!.

إشفاق على أبنائنا :

إننى أشفق على أبنائنا وشبابنا الذين حفظناهم أناشيد الجهاد، وأغانى العودة وعلقنا قلوبهم وعيونهم بالمسجد الأقصى، وقبة الصخرة، ومسري الرسول، وأولى القبلتين، وصببنا فى عقولهم وضمائرهم ووجدانهم كراهية بنى صهيون وظلم إسرائيل التى قامت على اغتصاب الأرض، وانتهاك العرض، وتشريد الأهل. فإذا بنا – ما بين عشية وضحاها – نشطب هذا كله، وننسخه بجرة قلم، ليصبح العدو صديقا، والاغتصاب مشروعا، والعدوان مقبولا، مع أن الوطن لم

يتحرر، والمشرد لم يعد إلى أرضه؛ والأقصى لم يزل أسيرا، فكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدقونا فيما كنا نقول لكم، إن الذى كنا نسميه بالأمس جهاداً وبطولة ونضالاً أصبح اليوم عنفاً وإرهاباً، والذى كنا نسميه سفاحاً غدا اليوم شريفاً. لا يوجد شيء ثابت عندنا ، كل ما كان حقًّا يمكن أن يكون باطلاً، افتحوا النوافذ لتهب عليكم نسمات إسرائيل، وافتحوا الأبواب لتدخل عليكم بضائع إسرائيل ، وبنات إسرائيل أيضاً ، و « إيدز » إسرائيل !!.

حفل التوقيع البائس :

لقد أكد رابين عشية سفره إلى واشنطن للتوقيع على الاتفاق المزعوم للسلام أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل ، وللشعب اليهودى إلى الأبد ، وأن العلم الفلسطينى لن يخفق فوقها يوماً من الأيام !! وهو بهذا يبلغ رسالة إلى الفلسطينيين يؤكد فيها أحد الثوابت التى لا تقبل التغيير ، أو التعديل فى السياسة الإسرائيلية ، فعلى الفلسطينيين أن ينسوا قضية القدس ، ويشطبوها من خريطتهم .. وأكد ذلك فى حفل التوقيع حين قال أمام العالم : نحن قادمون من القدس ، العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودى !!.

ولقد ذكر أبو عمار، وأبو مازن في كلمتيهما: أنهما يأملان أن تحل المشكلات الصعبة المعلقة فى المرحلة القادمة ، وهى : مشكلات القدس واللاجئين والمستوطنات والحدود ،

فإذا كانت هذه هى المشكلات المعلقة ، فما المشكلات التى تم حلها إذن ؟! .

الفرق بين رَجُلين وكلمتين :

والحق أنى كنت أتابع حفل التوقيع الذى يرونه عرسًا ، ولا أرى فيه إلا مأتما ! .

كنت أقارن بين الموقفين وبين الكلمتين : موقف عرفات ورابين ، وكلمتيهما ، فأجد – وأسفاه – فرقا شاسعًا .

كان موقف رابين موقف المتفضل المتنازل ، وموقف عرفات موقف الممتن الشاكر ! حتى إنه ختم كلمته بتكرار كلمة : شكرًا (بالإنجليزية) ثلاث مرات ! .

لم ينس رابين أن يتحدث عن تاريخهم القديم والحديث، وكفاحهم الطويل، وشهدائهم وضحاياهم، تمهيدًا لحديثه عن السلام، واستشهد بالتوراة، وذكر فقرات من (سفر الجامعة)، ودعا إلى الصلاة من أجل السلام، ولم يكن هم عرفات إلا المديح والشكر والعرفان، فلم يلتفت إلى شىء من قبيل ما ذكره رابين، ولم يستشهد بآية من القرآن، ولم يجر علي لسانه كلمة واحدة عن الإسلام! ولم يذكر المسجد الأقصى بعبارة واحدة !! .

انتهز رابين الفرصة، وعلم أن العالم كله يشاهده ويستمع إلى كلمته، فضمنها ما يدعم قضيته، ويحشد

عواطف العالم معه، فتحدث – وهو القاتل – بلهجة الضحية، وبدا – وهو الظالم – فى صورة المظلوم [1] !.

كان رابين صارم التقاطيع، متجهم الوجه، وكان عرفات ضاحك الوجه ، صدقًا أو تظاهرًا، ولا أدرى علام يضحك؟ إن كانت الظروف أرغمته على هذا الاتفاق الرخيص – فقد كان الواجب أن يبكى، فإن لم يجد بكاء تباكي ! أو بدا على الأقل كما بدا خصمه.

لقد عرف تاريخ العمل الفلسطيني من قبل (أيلولا أسود) واليوم نراه يواجه (أيلولاً آخر) أشد سوادًا !.

سلام السراب أو سراب السلام :

فى معرض الكتاب بالدوحة فى شهر ديسمبر سنة

---

(١) ذكر الكاتب الكبير الأستاذ : محمد حسنين هيكل فى كتابه القيم (سلام الأوهام) – وهو الجزء الثالث من كتابه : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – ما قال بعضهم : إن الضحية شرحت مأساتها بأسلوب الموظفين الحكوميين، وأما الجلاد فقد تحدث عن نفسه بأسلوب الشهداء ! وقال آخر : إن هناك خطأ حدث ، فخطاب رابين كان فى الأصل مكتوبا لعرفات. وخطاب عرفات كان لابد أن يكون خطاب رابين ! ثم قال ثالث : أن رابين تحدث عن المآسى الإنسانية التى عاشها الشعب الإسرائيلى. فى حين أن عرفات بدا وكأنه يعتذر نيابة عن الشعب الفلسطينى وعن نفسه ! (ص ٣٣٠).

١٩٩٢ م ، وفى أمسية شعرية ألقيت قصيدة عن (سلام السراب أو سراب السلام) عبرت بها نحو مشاعرى عن مسيرة السلام المزعومة ، قلت فيها :

فيا عجبا لمن يجرى ... وراء سرابه النفسى
يظن له به ريا ... ويرجع فارغ الكأس
يفرّط فى دم الشهدا ... ء يا للعار والبؤس !
يبيع الأرض والتاريـ ... ـخ بالأرخص من فلس!
بحكم فى حمى صهيو ... ن ،يا للثمن البخس!
فلا دولته قامت ... ولا أبقى على النفس
وضاع جهاد قرن كا ... ملٍ دفنوه فى الرمس
جهود كلها ذهبت ... « كأن لم تغن بالأمس » !
فما معنى فلسطين ... بلا أقصى ولا قدس ؟!
فلسطين بلا قدس ... كجثمان بلا رأس !

وكنا نحسب الحكم الذاتى فى حمى صهيون – الذى أنكرناه وعارضناه – يمهد لدولة فيما بقى من فلسطين ، فإذا الجمل يتمخض لا عن فأر ، بل عن صرصور يسمي (السلطة الفلسطينية) . فأين حق الفلسطينيين فى إقامتهم دولتهم المستقلة على تراب وطنهم الحر ؟.

إنه الوهن :

إنه (الوهن النفسى) الذى حذر منه النبى ﷺ ، الأمة فى فترات (الغثائية) من تاريخها ، حين قال : « ولينزعن الله

من قلوب عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » . رواه أحمد وأبو داود .

وهو الذى حذر منه القرآن بقوله : ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٥] ، ﴿ **وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ** ﴾ [النساء : ١٠٤] فالمتاعب مشتركة، والمعاناة لنا ولهم. ولكن فرق بين من يعانى فى سبيل الله والحق والعدل، ومن يعانى فى سبيل الطاغوت والباطل والظلم !

إننا لا نزايد على الفلسطينيين ، لسنا ملكيين أكثر من الملك كما يقال ، ولكن هناك حقائق يجب أن تعرف وتذكر وتؤكد، وهى :

١ - إن الفلسطينيين لم يؤخذ رأيهم فى هذا الأمر الجلل الذى غير ثوابتهم، ونقض تاريخهم، فلم تعقد لذلك مؤتمرات، ولا دعى المجلس الوطنى الفلسطينى (السلطة العليا للفلسطينيين) .

٢ - إن فصائل عديدة وكبيرة - إسلامية ووطنية - من الفلسطينيين رافضة لهذا الحل، بل الانقلاب المفاجىء، وتراه استسلامًا لا سلامًا، وتنازلا عن حقوق ضخمة فى غير مقابل. وشخصيات كبيرة رفضت التوقيع على هذا الهوان،

منهم أعضاء فى اللجنة التنفيذية، مثل فاروق قدومى الذى قال : لا أوقع على شهادة وفاة قضية فلسطين!، ومنهم أعضاء استقالوا مثل عبد الله الحورانى الذى قال بالحرف الواحد :

إنى أرى هذا الاتفاق تنازلا عن حقوقنا الوطنية والتاريخي، وقرارات مجالسنا الوطنية : فى العودة وتقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وتثبيتا للاستيطان، وتجاوزا لحقوق الإنسان الفلسطينى، واتفاقية جنيف الرابعة، وإسقاطًا لحقنا نحن الأربعة الملايين لاجىء فلسطيني فى العودة إلى وطننا ، وفق قرار الأمم المتحدة رقم (١٩٤) لعام (١٩٤٩ م) لأنه يتجاهل ذلك تماما. الخ ما قال ، وما أبلغ وأصدق ما قال.

٣ - إن فلسطين - ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، والقدس ليست قدسهم وحدهم، والأقصى ليس أقصاهم وحدهم، إنها ملك المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وليست ملك هذا الجيل وحده، بل ملك الأجيال الإسلامية إلى أن تقوم الساعة. فإذا وهن الفلسطينيون أو طائفة منهم لما أصابهم من لأواء وضعفوا واستكانوا، فواجب المسلمين فى كل مكان أن يهبوا لإنقاذ القدس، فريضة من الله. والذى أنقذ الله على يديه القدس قديما، لم يكن فلسطينيا ولا عربيًّا، بل كان بطلا إسلاميًّا كردى الأصل، عرّبه الإسلام.

٤ - إن المعركة بيننا وبين بنى صهيون مستمرة ،

نقاتلهم ويقاتلوننا، حتى تأتى المعركة الفاصلة التى نبأنا بها من لا ينطق عن الهوى، وهى التى يكون كل شيء فيها معنا ضد يهود، حتى الشجر والحجر ، روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: « تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر ، فيقول الحجر : يا عبد الله، هذا يهودى ورائى فاقتله »!!.

وروى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ».

٥ - إن الرباط مستمر، والجهاد ماض، فى أرض النبوات، ومسرى الرسول الكريم، حتى يأذن الله وحده بالنصر، وينجزه وعده.

روى الإمام أحمد في المسند ، والطبراني بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابههم - إلا ما أصابهم من لأواء (أى من أذى) حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك . قيل : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس ».

لماذا سارعت إسرائيل إلى الاتفاق ؟ :

إن إسرائيل قد سارعت بإقامة هذا الاتفاق لتحقيق أمور ثلاثة تهمها :

الأول : ضرب الصحوة الإسلامية فى فلسطين وفى العالم العربى ، بل فى العالم الإسلامى ، وقد كشفوا عن ذلك فى كلماتهم حين تحدثوا عن قلقهم من تنامى خطر الأصولية الإسلامية [١] ، وقد قال بيريز في زيارته للهند : إننا نضع أيدينا فى أيديكم للوقوف فى وجه الأصولية الإسلامية المتشددة ، أى فى قضية كشمير وجامو .

وقد نقلت وكالة رويتر بُعَيد الأتفاق : حديثا لمسؤول إسرائيلى قال فيه : إننا لو تباطأنا عن هذا الاتفاق فقد نفاجأ بعد ثلاث سنوات أو أربع بقوة إسلامية تملك صواريخ بعيدة المدى ، وربما تملك القنبلة النووية .

وإسرائيل تريد أن تكون هى القوة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تملك الصواريخ، وتحتفظ وحدها بترسانتها النووية .

الثاني : الاختراق الإسرائيلى للعالم العربى ، ثم العالم الإسلامى كله، ليصبح سوقا مفتوحة لبضائعها، ومصنوعاتها، ولغزو خبرائها، وغزو نسائها أيضاً . فإسرائيل – كما قال بيريز – تبحث عن الثروة والقوة، فإذا ألغيت

---

(١) انظر : فصل (صيحة الخطر الإسلامى) من كتاب هيكل (سلام الأوهام) ص ٢٢١ وما بعدها .

المقاطعة وكسر الحاجز النفسى، فتح الطريق أمام إسرائيل، لتكسب على كل صعيد.

الثالث : الأمل فى أن يتصارع الفلسطينيون فيما بينهم ما بين مؤيدين للاتفاق منتفعين من ورائه، ومعارضين له، رافضين له شكلاً ومضموناً، وأن يتحاوروا بينهم بلغة السلاح، لا بالألسنة والأقلام. وبذلك يصفى بعضهم بعضاً، وإسرائيل تتفرج مشرقة الأسارير !.

الصحوة الإسلامية لن تموت :

ونود أن نقول لإسرائيل: أن الصحوة الإسلامية لن تموت بإذن الله، وأن الأصولية ستزداد قوة وإصراراً ، كلما هاجمتها القوي المعادية للسلام.

وعلينا أن نوعى قومنا بما يدبر لهم، حتى يقفوا كما وقف الشعب المصرى من قبل ضد التطبيع، وعلينا كذلك: أن نناشد أخوتنا الفلسطينيين أن يتقوا الله فى أنفسهم، وأن يحذروا من أى قطرة دم تراق على أيدى فئة منهم، وألا يكونوا سياط عذاب فى يد إسرائيل - تجلد بها ظهر الانتفاضة المؤمنة - ما دام المسجد الأقصى أسيراً ، والملايين مشردين.

دعوة لعلماء المسلمين :

ثم إنى أدعو الأحرار من علماء المسلمين، ودعاة الإسلام، ومفكريه: أن يسارعوا بالاجتماع ويتنادوا لإنقاذ الأقصى، وليقولوا كلمتهم فيما يجرى من أحداث، وقد قالوها من قبل منفردين، فليقولوها اليوم مجتمعين.

تـوصيـات

نحن المسلمين دعاة سلام ، ولسنا هواة حرب ، ولكنا نخوض الحرب مستميتين للدفاع عن أنفسنا وكياننا ومقدساتنا ، لأن حربنا عندئذ فى سبيل الله ، وهذا شأن أهل الإيمان أبدًا ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ [النساء : ٧٦] .

وإذا انتهى اللقاء بيننا وبين خصومنا بغير معركة كما فى غزوة الخندق كان تعليق القرآن : ﴿ **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** ﴾ [الأحزاب : ٢٥] ، وقرآننا يقول بعد ضرورة الالتجاء إلى القتال : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٦١]

ولكن إسرائيل لم تجنح للسلم يومًا ، لأن هذا ضد طبيعتها وتكوينها ، وكيف يجنح للسلم من قام كيانه على الدم والعنف والاغتصاب والعدوان؟ وهى تعمل اليوم جاهدة لتفريغ القدس من أهلها مسلمين ومسيحيين، لتملأها بالمستوطنين القادمين من الغرب والشرق .

ومن هنا كانت مسالمة المعتدين مرفوضة دينا وخلقًا

وقانونًا وعرفًا، فلا يفل الحديد إلا الحديد، وما اغتصب بالقوة لا يرد إلا بالقوة ، وفى ضوء ذلك نوصى بما يلى :

١ - يجب أن تعود « ثورة المساجد » التى سميت بعد ذلك « الانتفاضة » ، والتى أجبرت إسرائيل على الاعتراف بمنظمة التحرير ، وساقتها إلى الجلوس معها للتفاوض ، وأن تعود بأقوى مما كانت ، مسنودة من جميع الفلسطينيين ، سلطة وشعبًا ، ومؤيدة من جميع العرب ، وجميع المسلمين ، وجميع الأحرار والشرفاء فى العالم .

إن (إسرائيل) هى الإرهابى الأكبر فى العالم. إنه إرهاب الدولة، أو دولة الإرهاب. إنها الدولة التى قننت الظلم والتعذيب، وهدم البيوت، وانتهاك حقوق الأفراد والأسر.

والسبيل الوحيد للشعب الفلسطينى هو (المقاومة). ومن حق كل شعب أن يقاوم المحتل الغاصب ، بكل ما يستطيع من قوة. وإذا كان (مناحم بيجن) قد رفع شعار: أنا أحارب إذن أنا موجود!! فإن الشيخ أحمد ياسين رفع شعارًا مضادًا: أنا أقاوم، إذن أنا موجود!! وسيغلب حق (أحمد ياسين) باطل (مناحم بيجن).

٢ - يجب رفض ما سمى « التطبيع » مع إسرائيل، على كل صعيد، سياسيًا، أو اقتصاديًّا، أو اجتماعيًّا، أو ثقافيًا ، فلا يجوز التبادل الدبلوماسى مع إسرائيل، ولا التعامل الاقتصادى مع إسرائيل، ولا فتح مكاتب لإسرائيل، ولا يحل

لمسلم السفر إلى إسرائيل، ولو بدعوى الصلاة فى « المسجد الأقصى »، فإنما يشد المسلم رحاله إلى هذا المسجد حينما يتحرر من سلطان اليهود.

يجب أن نرفض اختراق العقل العربى والإسلامى بأى صورة، وأن نقاوم غزو (الإسرائيليات الجديدة) لثقافتنا الإسلامية والعربية، وأن نتمسك بهويتنا خالصة لا تشوبها شائبة.

٣ - يجب إعادة « المقاطعة » الاقتصادية لإسرائيل، واستمرارها حية فعالة، وتوسيعها لتكون مقاطعة عربية إسلامية، فلا يحل لمسلم أن يبيع لها أو يشترى منها، وهذا واجب الدول الإسلامية، وواجب الأفراد المسلمين، ويجب على كل مسلم أن يعلم أن أى دينار أو درهم أو جنيه أو ريال، يذهب إلى إسرائيل يتحول إلى صاروخ أو قنبلة أو رصاصة تقتلنا بها أو تهددنا بها إسرائيل، بل يجب أن تتسع هذه المقاطعة لتشمل كل من يساند إسرائيل، وخصوصا أمريكا التى تقف بكل قوتها مع إسرائيل، ويجب على المسلمين كافة: مقاطعة البضائع الأمريكية، ابتداء بالطائرات ومرورًا بالسيارات، وانتهاء بالهامبرجر والبيتزا والكولا والسجائر ونحوها.

٤ - يجب أن يعلو العرب والمسلمون على خلافاتهم، وينسوا معاركهم الجانبية، ويقفوا صفًّا واحدًا كالبنيان

المرصوص يشد بعضه بعضًا، فالمعركة كبيرة ، لا يجوز أن تشغلنا عنها النزاعات الصغيرة، وقد قال الشاعر :

* إن المصائب يجمعن المصابين ! *

فكيف بأم المصائب : إسرائيل وغطرستها واستكبارها فى الأرض ؟!

وقد قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف : ٤] .

يجب أن نقاوم كل محاولة لتمزيق الأمة أكثر مما هى ممزقة، وأن نسعى إلى توحيد الكلمة فى ضوء كلمة التوحيد، فإن لم نستطع الارتقاء إلى أفق التوحيد، فلنسع إلى التقريب ، وذلك أضعف الإيمان.

لا مجال لإثارة الخلافات الدينية : سنة وشيعة، ولا الخلافات العرقية : عرب وأكراد، أو عرب وبربر، ولا الخلافات الأيديولوجية : يمين ويسار، ولا الخلافات الطبقية : أغنياء وفقراء.

ويجب أن نركز على مقاومة الخلاف بين الفصائل الفلسطينية بعضها وبعض ، فالجميع فى خندق واحد ، هو مواجهة الاحتلال والعدوان الصهيونى.

وما أروع ما قال الشيخ أحمد ياسين في قطر : إذا قاتلتنا السلطة الفلسطينية فلن نقاتلها ، وإذا آذتنا فلن نرد السيئة بمثلها ، سنكون كخير ابنى آدم حين قال له أخوه :

لأقتلنك ، قال : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٨]

٥ - يجب أن نعلن بوضوح « إسلامية المعركة » فالقدس ليست مجرد شأن فلسطيني، بل ولا مجرد شأن عربي ، بل هي شأن إسلامي . ولهذا نرفض ما يردد أحياناً من أن الفلسطينيين هم أصحاب الشأن، ولا ينبغي أن نكون ملكيين أكثر من الملك، فالقدس شأن الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الفلسطينيين تخاذلوا وسلموا في شأنها، لوجب على مسلمي العالم أن يرفضوا ذلك، ويقاموا الفلسطينيين أنفسهم، وكما لا يجوز أن يقال : إن مكة والكعبة والمسجد الحرام هي شأن سعودي، لا يخص سائر المسلمين، فكذلك يقال عن القدس الشريف والمسجد الأقصى .

٦ - يجب أن نسعى لتأسيس « هيئة إسلامية شعبية عالمية » من أجل إنقاذ القدس، فلو كان لنا خليفة مبايع من المسلمين، يجسد وحدتهم، ويقود أمتهم - كما كان عليه حال الأمة أكثر من ثلاثة عشر قرنا - لنادى في المسلمين : أن هبوا لتحرير الأقصى، ولاستجاب الملايين لندائه، وأقبلوا بكثافة ليواجهوا قوة إسرائيل، وأسلحة إسرائيل، ولتقتل منهم ألوفا أو عشرات الألوف، ولكنها لن تستطيع أن تقتل كل المجاهدين، وتواجه كل المسلمين.

فإذا لم تكن لدينا خلافة تملك حق التوجيه والأمر، فليكن بديلنا عن ذلك « مؤتمر عالمى لعلماء المسلمين» يدعى إليه، بعيداً عن تأثير السياسات المحلية ، والتوجيهات الرسمية، ليقول كلمته، ويوجه بيانه إلى الأمة، وينشىء هذه الهيئة العالمية المنشودة « هيئة إنقاذ الأقصى » .

٧ – وعلى هذه الهيئة أن تنشىء « صندوق القدس » صندوقا شعبيًّا إسلاميًّا عالميًّا، يساهم كل المسلمين – بل كل الأحرار الشرفاء – من أقصي الأرض وأدناها، بما يقدرون عليه، والقليل على القليل كثير، وذلك لإنقاذ القدس والمسجد الأقصى، ومواجهة خطط إسرائيل الجهنمية فى إقامة المستوطنات، والترحيل الصامت لأهل القدس، والحفر المتواصل تحت المسجد المبارك، والتدمير المرتقب للمسجد الأقصى .

نتوجه بهذه التوصيات إلى كل الفلسطينيين : سلطة ومعارضة وإلي كل العرب : مسلمين ومسيحيين، وإلى كل المسلمين : عربا وعجماً، وإلى كل الشرفاء والمنصفين، وأعداء البغى فى الشرق والغرب، ليساندونا فى معركتنا العادلة، وليقفوا مع قوة الحق، لا مع حق القوة .

وإن الحق لمنصور ولو بعد حين . وقد قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المؤْمِنِينَ ﴾ .

* * *

الفهـرس

الموضـــوع	الصفحة

بطلان دعاوى اليهود فى القدس
وفى فلسطين عامة
(٤٧ - ٨٢)

هل عرفنا عدونا
(٨٣ - ١٠٣)

الموضــوع	الصفحة

هذا .. هو عدونا

(١٠٤ - ١٢٦)

الصهيونية خطر على العالم كله

(١٢٧ - ١٣٨)

الموضـــوع	الصفحة

أمريكا وإسرائيل
(١٣٩ - ١٤٤)

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون
(١٤٥ - ١٥٨)

توصيات
(١٥٩ - ١٦٤)

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ١١٣٤٨ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى : 3 - 121 - 225 - 977